الاسلام وتحديات العصر

الكتاب التاسع

الملامح العامة
للمجتمع الإسلامي

تاليف

دكتور عبد الغنى عبود

كليــة التربية جامعة عين شمس

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

الطبعة الأولى

فبراير ١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

— « محمد رسول الله ، والذين معه، أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم، من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه، فآزره، فاستغلظ، فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما »

(قرآن كريم : الفتح — ٤٨ : ٢٩).

* * *

— « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون . لن يضروكم إلا أذى ، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ، ثم لا ينصرون »

(قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١١٠ ، ١١١).

* * *

— « إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »

(قرآن كريم : النحل — ١٦ : ٩٠) .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
هـــذه السلسلة	(٧ — ١١)
وهـــذا الكتاب التاسع	(١٣ — ١٦)
الفصل الأول : بين الأسرة ومجتمعها	(١٧ — ٣٩)
تقديم	١٧
أفرادمتباينون	١٨
ووظائف متباينة	٢١
ومجتمع واحد	٢٧
نماذج مختلفة	٣٤
الفصل الثاني : مجتمع رباني	(٤٠ — ٦٤)
تقديم	٤٠
معنى الربانية	٤٢
الأخلاق الربانية	٤٦
القانون الرباني	٥٢
الجزء والكل في المجتمع الرباني	٥٩
الفصل الثالث : مجتمع انساني	(٦٥ — ٩٣)
تقديم	٦٥
معنى الإنسانية	٦٨
الملكات الإنسانية	٧٤
الإسلام وحاجات الإنسان	٨٥
المجتمع الإسلامي والمجتمع الدولي	٨٧

الموضــوع | الصفحة

الفصل الرابع : مجتمع نظيف (٩٤ — ١٢٠)

تقديم ٩٤
معنى نظافة المجتمع ٩٥
الإسلام ونظافة المجتمع ٩٩
وضمانات أخرى لنظافة المجتمع المسلم ١٠٥
وحاجات الإنسان تتحقق أيضاً ١١١

الفصل الخامس : مجتمع متراحم . . . . . . (١٢١ — ١٤٢)

تقديم ١٢١
معنى التراحم ١٢٢
الرحمة بالنفس أولا ١٢٨
ثم الرحمة بالغير ١٣١
هو التراحم الإنسانى ١٣٧

وللمسلم ان يفخر بمجتمعه . . . . . . (١٤٣—١٦٩)

المراجع . . . . (١٧١—١٨٥)
(ا) المراجع العربية ١٧١
(ب) المراجع الأجنبية ١٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السلسلة

ليست هذه السلسلة ، سلسلة دينية ، بالمعنى التقليدى ، كما يبدو للوهلة الأولى ، من عنوانها ، وإن كان الدين الإسلامى، يعتبر محورها الأساسى .

ولقد كان الدافع إلى إصدار هذه السلسلة ، بعيداً كل البعد عن الدين ، قريباً كل القرب،من العلم الخالص ... فى مجال التربية ، الذى تخصصت فيه ، وحوله تدور قراءاتى ودراساتى ، وما أقوم به من أبحاث .

وصحيح أن الدين ، ليس حكراً على متخصصين فيه ، كما هو الحال فى الكيمياء والطبيعة والصيدلة والهندسة والأدب واللغة . . . والتربية ، ولكن المتخصصين فيه — بالضرورة — أقدر على العطاء ، وغير المتخصصين فيه ، لا بد أن يكون عطاؤهم أقل ، وبجهد أكبر .

ويعود الدافع إلى إصدار هذه السلسلة ، إلى سنوات خلت ، حيث كان يضمنا (سمنار) الدراسات العليا ، بكلية التربية جامعة عين شمس ، وأراد أحد الدارسين ، تسجيل رسالة، عن (التربية الإسلامية) ، يحصل بها على درجة الماجستير فى التربية ، وهالنى رد أحد الزملاء - الأساتذة - عليه ، بأنه لا يوجد — للأسف — تربية إسلامية (١) .

ولم يكن بين يدى الرد — ليلتها — على الزميل ، ولا قدرة — بالتالى — على مناصرة الطالب ، ومن ثم أمسكت عن الرد ، حتى يكون بين يدى الدليل .

---

(١) الف الزميل المذكور مؤخرا كتابا فى التربية الاسلامية ، عندما فرضت الدراسات الاسلامية نفسها على مختلف جوانب الفكر البشري ، فى جامعاتنا .. فى السنوات الأخيرة ، بحمد الله .

ورجعت إلى ما كتب عن (التربية الإسلامية) ، فى الكتب والمجلات العلمية ، فلم أجد فيما كتب متصلا بالتربية الإسلامية ، سوى .. العنوان ، رغم أن بعض ما قرأته ، كان لمفكرين إسلاميين .. كبار .

وكان على أن اعتمد على الله وعلى نفسى ، فى التصدى لهذه المغالطة العلمية ، التى يقول بها بعض رجال التربية عن جهل ، ويسكت عنها البعض الآخر ، عن قصور .

وجمعت المادة العلمية فيما يزيد على عام كامل ، وبدأت أنظم هذه المادة ، وكتبت — بالفعل — على أساسها — كتاباً متكاملا عن (الأيديولوجيا والتربية ، فى الإسلام) ، ولم يكن ينقصه سوى أن يدفع إلى المطبعة ، ليرى — بعدها — النور ، ويبث — بعدها — نور الحقيقة ، فى قلوب الجاهلين بها ، والمتغافلين لها .

ثم عدت إلى نفسى ، وقلت لها : ولكن المسئولية أمام الله أكبر من هذا الجهد الذى بذلته ، فقد كان لا بد - فى نظرى - من مزيد من البحث .

وقلت لنفسى أيضاً : ولكن هذا الجهد الذى بذل كبير ، وهو جدير بأن يرى النور .

واستقرت نفسى على أن ألخص هذا الذى كتبته ، فى ستين صفحة ، نشرت تحت نفس العنوان ، فى المجلد الثالث من (الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس) ، الذى صدر مع مطلع سنة ١٩٧٦ .

ثم استقرت — بعد ذلك — على نشر هذا المقال ، مع مقالين آخرين ، ظهرا فى مجلات علمية أخرى ، عن (التربية الإسلامية) ، فى كتاب يصدر

قريباً ، تحت عنوان (مقولات فى التربيـة الإسلامية)(١) ، نظراً لأن كل مقال من المقالات الثلاثة ، قد صـــدر — حيثما صدر — مليئاً بالأخطاء المطبعية ، التى أفسدت المعنى، الذى كنت أريده، فى بعض المواقف، إفساداً .

واستقرت نفسى — قبل ذلك وبعده — على أن أعمق مفهومى عن الإسلام ، وعن (الشخصيـة القوميـة الإسلامية) ، فهى المنطلق الحقيقى للحديث — الصادق — عن (التربية الإسلامية) .

ذلك أننا ندرس نظام التربية فى أى مجتمع ، فى ضوء (الشخصية القومية) لذلك المجتمع ، وبدون تلك (الشخصيـة القومية) ، يكون نظام التربيـة — فى نظرنا — نحن رجال التربية — معلقاً فى الهواء .

وفى ضوء تلك (الشخصية القومية) ، درست — وتدرس — التربية فى البلاد الرأسمالية عموماً ، وفى كل بلد منها ، كما تدرس التربيـة فى البلاد الشيوعية عموماً ، وفى كل بلد منها .

وفى ضوئها كذلك ، درست — وتدرس — التربيـة المسيحيـة ، والتربية اليهودية .

أما التربية الإسلامية . . فلم تجد — حتى الآن — فى حدود علمى — من درسها، هذه الدراسة العلمية المنهجية .

ومن ثم كان هناك من يقول ، بأنه لا توجد تربية إسلامية ، لأن الشخصية الإسلامية اليوم ، شخصية ، لا هى إلى الإسلام تنتمى ، ولا هى عن الإسلام

(١) تم طبع الكتاب الآن بالفعـل ، ونشرته دار الفـكر العربى ، فى منتصف سنة ١٩٧٧ ، مع تغيـير محـدود فى العنوان ، بحيث صار (فى التربية الاسلامية) فقط ، ومع تغيير محدود أيضا فى المحتويات . فقـد ضمت الى المقالات — أو المقولات — السابقة ، مجمـوعة مقالات ، سـابقة ولاحقة ، بحيث تكون المقالات — مجتمعة — دراسة متكاملة ، تبدأ بمدخلين ، عقائدى وأيديولوجى ، وتنتقل الى التربية الاسلامية ، كفلسفة نظرية ، ثم تختتم بالواقع الراهن للتربية فى البلاد الاسلامية اليوم ، مع تحليل هذا الواقع ، والقـــاء نظـرة مستقبلية عليه .

تعرف الكثير ، ومن ثم صارت تلك الشخصية،شراً على الإسلام، وخطراً عليه ، أكبر من الشر والخطر،الذى يستطيعه عداء الإسلام أنفسهم .

ومن ثم فالشخصية القومية الإسلامية المعاصرة، لا يمكن أن تكون، هى المدخل الصحيح،لفهم التربية الإسلامية، وإنما المدخل الصحيح لها ، هو تلك الشخصية القومية الإسلامية ، فى عصور الإسلام الأولى .

ولو عاد المسلمون إلى فهم الإسلام من جديد ،كما يجب أن يفهم ، لعادوا إلى أنفسهم ، ولعادت إليهم قوتهم وعزتهم . . وحضارتهم ، خاصة وأن الدراسة التى قمت بها ، أكدت لى،أن الإسلام قادر على مواجهة (تحديات العصر) ، وأن المسلمين - بالإسلام - قادرون على مواجهة تلك التحديات، وأنهم — بدونه — عاجزون .

ومن ثم يكون الهدف من السلسلة .. تربوياً خالصاً .

ولكنه هدف .. دينى أيضاً .

فالمسلمون اليوم ، بفعل عوامل متعددة ، لا يعرف الكثيرون منهم عن الإسلام ، الكثير ، وهم يعرفون عنه، ما يعرفه غيرهم لهم ، لا ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم ، من مصادره الصحيحة : الكتاب والسنة .

بينما هم يعرفون عن النظم والفلسفات المعاصرة . . ذات البريق — الأخاذ — الكثير والكثير . . لأن غيرهم أراد ذلك لهم . . بفعل عوامل متعددة كذلك .

والوظيفة الرئيسية لهذه السلسلة ، هى : أن تضع الإسلام — بجوانبه المتعددة - وجهاً لوجه - أمام النظم والفلسفات المعاصرة ... لنرى : أيها أقدر على مواجهة تحديات العصر .

وعندما يكتشف المسلم ، أن إسلامه ، هو القادر على مواجهة تحديات العصر ، وأن الفلسفات والنظم المعاصرة ، إن هى ألوان من العلاج مؤقتة .. مفلسة ، فإنه ـ لا بد ـ سيعود إلى نفسه ، ويصالح دينه ، ويقرأ عنه ، ويقف على ما فيه .. وقوفه على ما فى الفلسفات المستوردة ، ذات البريق الأخاذ .. الخادع.

وعند هذا الحد ، تقف رسالة السلسلة .

ومن هنا قلت وأصررت ، على أنها ليست سلسلة دينية بالمعنى التقليدى .

ومن اراد الدين بالمعنى التقليدى ، فكتبه معروفة ، وكتابه معروفون .

ولكن المسلمين الذين أكتب هذه السلسلة لهم ، ليسوا مستعدين — منذ البداية — لأن يضيعوا وقتاً ، فى قراءة تلك الكتب الدينية ، وفى القراءة لهؤلاء الكتاب المعروفين ، لأن الإسلام ـ كما فهموه ـ لا يصح أن يضيعوا فيه وقتاً ، يضيعون أكثر منه، فى المذاهب ذات البريق .. الخداع .

وبعد اتضاح معالم (الشخصية القومية) الإسلامية ، مقارنة بمعالم (الشخصيات القومية) الأخرى، التى نراها فى ظل الأيديولوجيات المعاصرة ، من زوايا عديدة .. وذلك خلال هـــذه السلسلة ، سوف أعود من حيث بدأت ، فألخص ما وصلت إليه ، وأتخذ منه منطلقاً ، للحديث عن (التربيـة الإسلامية) .

والجهد الذى يجب أن يبذل فى إعداد هذه السلسلة كبير ، والجهد الذى يجب أن يبذل — بعدها — فى الحديث عن (التربية الإسلامية) كبير . . ولكن الهدف الذى تحققه السلسلة ، والدراسة الخاصة بالتربية الإسلامية ـ بعدها ـ فى نظرى ـ أكبر وأعظم ، وفى سبيله تهون الصعاب ، وعلى الله قصد السبيل ؟

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ .
— مايو ١٩٧٦ م .

وهذا الكتاب ... التاسع

ومرة ثانية ، اضطر إلى أن أتوقف عن متابعة السلسلة ، كما خططت لها فى رأسى ، لأتخذ سبيلا (جانبياً) ، أتابع — بعده — المسيرة .

وقد كانت المرة الأولى، التى توقفت فيها ، عند الكتاب السابع ، عن (قضية الحرية ، وقضايا أخرى) ، حيث قطعت كتابتى للكتاب المخصص (للأسرة) (الكتاب الثامن من كتب السلسلة) ، لأكتب كتابها السابع (قضية الحرية ، وقضايا أخرى) — ثم هأنذا أتوقف للمرة الثانية ، قبل الحديث عن (الدولة الإسلامية) ، لأتحدث عن (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) — موضوع هذا الكتاب ... التاسع .

بل إننى سأضطر إلى التوقف مرة ثالثة ، قبل الحديث عن (الدولة الإسلامية) ، لأتحدث عن (ديناميات المجتمع الإسلامى)، موضوع الكتاب العاشر بإذن الله ، قبل الحديث عن (الدولة الإسلامية) ، موضوع الكتاب الحادى عشر بإذن الله .

لقد كان مخطط السلسلة — فى رأسى — هو أن أبدأ كتبها بالحديث عن العقيدة الإسلامية عموماً ، ثم أنتقل منها إلى فكرة الألوهية ، فالحديث عن الكون ، ثم أنتقل — بعد ذلك — إلى الشق الثانى من القضية برمتها ، وهو الإنسان . . ومنه أنتقل إلى الشق الثالث — المجتمع ، وهكذا .

وداخل كل شق ، كنت أجد نفسى مضطراً للتوقف قليلا ، أو للانعطاف جانباً ، لأستكمل ركنا ، كان يجب أن يستكمل ، أو لأمهد لجانب قادم ، لا بد من التمهيد له ، فى خارج الكتاب المخصص له ، لا فى داخل هذا الكتاب .

ولقد شرعت — بعد الكتاب السادس ، عن (أنبياء الله) — فى التفكير

فى المجموعة الخاصة بالمجتمع ، فرأيت أن أبدأها (بقضية الحرية) ، تمهيداً للمجموعة كلها ، ثم كان كتاب الأسرة ، بوصف الأسرة، هى حلقة الوصل، بين الفرد والمجتمع ، ثم رأيت أن يكون الكتاب التالى عن (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) (الكتاب الحالى) ، يليه كتاب عن (ديناميات المجتمع الإسلامى)، لأنه لا يمكن فهم المجتمع الإسلامى ، دون فهم هذين الجانبين .

ولما اتضحت هذه الجوانب، التى تبدو هامشية على طريق المجتمع ، يكون فهم (الدولة الإسلامية) ، أمراً سهلاً .

وكتاب (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) - كتاب السلسلة الحالى - ليس معزولا عما سبقه من كتب ، كما أنه ليس بمعزل عن الكتب التالية ، فهى حلقات ، فى سلسلة واحدة طويلة .

ومن ثم فهو وثيق الصلة ، بالكتاب الأول، عن العقيدة الإسلامية ، لأن هذه الملامح العامة، لا يمكن فهمها، بمعزل عن هذه العقيدة ، كما أنه وثيق الصلة، بالكتاب الثانى عن الله ، لأن العقيدة الإسلامية ، لا يمكن فهمها، بدون فهم فكرة الألوهية فيها ... وهكذا .

وفصول الكتاب، تعكس هذه الصلة ، بين هذا الكتاب التاسع من كتب السلسلة ، وبين سائر كتب السلسلة ، بشكل واضح .

فالفصل الأول منه ، عنوانه هو (بين الأسرة ومجتمعها) ، والرابطة واضحة بينه وبين الكتاب السابق (الثامن) عن (الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة) ، وإن كان على صلة أيضاً بالكتاب الأول عن (العقيدة)، والكتاب الثانى عن (الله) ، وغيرها ، لأن مفهوم (الأسرة) فى الإسلام ، ليس بمعزل عن هذه المفاهيم جميعاً .

وتتحدث بقية الفصول — ابتداء من الفصل الثانى — عن سمات هـذا المجتمع ، ويدور الفصل الثانى حول (ربانية) هـذا المجتمع ، ومعنى هـذه الربانية ، وانبثاق الأخلاق والقانون فى المجتمع الإسلامى .. منها .

ومن ثم فصلة الفصل بالكتاب الثانى عن (الله) صلة واضحة ، كما أن صلته بالكتاب الثالث عن (الكون) واضحة أيضاً .

أما الفصل الثالث ، فإنه يدور حول (إنسانية) هذا المجتمع ، ومعنى هذه (الإنسانية)، وكيف أنها لا تتناقض مع (الربانية)، وإنما تتكامل معها، لأن (إنسانية) المجتمع الإسلامى ، تعنى قدرته — أكثر من غيره — على إشباع حاجات الإنسان، ثم تأتى الربانية، فترتفع بهذا (الإشباع) ، إلى درجة تليق بالإنسان ، الذى كرمه ربه ، يوم خلقه واستخلفه .

وعلى ذلك، فصلة الفصل، بالكتابين الرابع عن (الإنسان) ، والخامس عن (اليوم الآخر) ، صلة واضحة .

وأما الفصل الرابع ، فيدور حول (نظافة) هذا المجتمع ، ومعنى هذه النظافة، ومدى اتصالها بالربانية والإنسانية معاً ، فهى نتيجة طبيعية لهما .

والفصل ـ على ذلك ـ وثيق الصلة، بالكتاب السادس عن (أنبياء الله) ، وبالكتاب السابع عن (قضية الحرية) .

وأخيراً يأتى الفصل الخامس ، عن (تراحم) المجتمع الإسلامى ، وهذا التراحم ، هو النتيجة الطبيعية للربانية والإنسانية والنظافة ـ وهو يحدد معنى التراحم ، ويفرق بين هذا التراحم الإسلامى ، والتراحم المزعوم، فى المجتمعات الأخرى .

ويختم هذا الكتاب التاسع ، بما يختم به كل كتاب من كتب السلسلة ، وهو (وللمسلم أن يفخر ..) .

وفى هذا الشق الأخير من الكتاب ، تبدو عوامل (البناء)، فى هذا المجتمع ، برغم كل الظروف والتحديات ... فى مقابل عوامل (الهدم) فى المجتمعات الأخرى ، برغم ما يبدو عليها، من قوة ونماء .

وأرجو أن يحقق هذا الكتاب — التاسع — الغرض ، الذى من أجله وضع فى هذه السلسلة ، وأن يكون لبنة طيبة من لبناتها ، وأن يكون توفيق الله قد صاحبنى فى كل خطوة من خطوات خلقه .. فمنه — وحده - سبحانه - أرجو حسن الجزاء ؟

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : ربيع الثانى ١٤٠٠ هـ .
— فبراير ١٩٨٠ م .

الفصل الأول

بين الأسرة ومجتمعها

تقديم :

(المجتمع اسرة كبيرة)

عبارة تعودنا أن نسمعها ، وأن نطرب لها، لأنها تجد فى نفوسنا صدى ، وقد نرددها مع القائلين بها ، دون أن نعى أبعادها ، ترديداً لهذا الصدى ، الذى تجده العبارة فى نفوسنا — كما قد تقولها ، ونحن نعى هذه الأبعاد .

ولكن هذه العبارة ، هى الحقيقة .

وتكون هذه العبارة حقيقية أيضا ، إذا نحن قلبناها وقلنا :

(ان الأسرة مجتمع صغير)

ذلك أن للمجتمع ، كل مقومات الأسرة ، وللأسرة كل مقومات المجتمع ، على نحو ما سنرى .

وقد كان ممكنا ، أن نعنون هذا الفصل بعنوان (أسرتان) ، أو بعنوان آخر ، هو (مجتمعان) ، على سبيل المثال ، مما يمكن أن يوحى بالصلة بين (الأسرة) و (المجتمع) ، على النحو الذى وضحناه .

ولكننا أثرنا أن نجمع بين العنوانين ، وهو الأسرة والمجتمع ، موضحين — بطريقة مباشرة — العلاقة بين الأسرة ، والمجتمع الذى توجد فيه هذه الأسرة ، مختصرين الطريق ، إلى ما نريد .

وعلى أية حال ، فهى مسألة شكلية ، لا يصح أن تصرفنا أكثر من ذلك، عن قضيتنا الرئيسية ، وهى ما بين الأسرة والمجتمع ، من علاقات وثيقة ، فى (كل شىء) .

وسوف نخصص هذا الفصل الأول ، لهـــذه السمات المشتركة ، بين الأسرتين ، أو بين المجتمعين .

افراد متباينون :

تتكون الأسرة عادة ، عندما يطلق لفظ الأسرة على عمومه ،من رجل وامرأة ، ومجموعة من الأبناء . وقد يقيم مع الأب والأم والأبناء ، والد الزوج ووالدته ، أو والد الزوجة ووالدتها ، أوهم جميعا . وقد يقيم معهم كذلك ، الجد ، أو أحد الأقارب ، أو إحدى القريبات .

وسواء أقاموا مع الأسرة، أو أقاموا وحدهم ، فإن هناك علاقات، تظل قائمة ، بين أفراد هذه الأسرة ، وبين الأسر الأخرى ، التى تربطها بها (صلة رحم) .

فهم أفراد متباينون ، أولئك الذين تتألف منهم هذه الأسرة ، ففيهم الأب ،المسئول عن الأسرة من الخارج ،وفيهم الأم،المسئولةعنها من الداخل، وفيهم الأخ الكبير ، والأخ الصغير ، والأخت ، والجد أو الجدة .. إلخ .

والأسرة ـ من زاوية التباين تلك ـ مجتمع صغير ، على حد ما رأينا فى كتابنا السابق عن الأسرة ، ولها كل مقومات هذا المجتمع ، من حيث تنوع أفراده ، وتنوع وظائف هؤلاء الأفراد ، ومن حيث أنها (كيان) مترابط، تجمع بين أعضاء (مصالح مشتركة)،ولا بد لهذا الكيان من رأس مدبر ، يقود

القافلة كلها ، إلى أمام »(١) .

والرأس المدبر فى الأسرة ،هو ربها ـ الزوج ، ودوره هنا، شبيه بالدور الذى يقوم به رئيس الدولة ، باعتباره رب الأسرة الكبرى ـ المجتمع .

ورغم أن الزوج ، هو الرأس المدبر فى الأسرة ، فإن أدوار بقية أفراد الأسرة، لا يمكن أن تغفل ، وخاصة ذلك الدور، الذى تقوم به الأم ،ولولا هذا الدور ، الذى تقوم به الأم فى (داخل) الأسرة ، ما استطاع الأب ، أن يقوم بدوره (خارجها) .

والوضع هنا شبيه برئيس الدولة ، والجهاز العامل معه ، ويشمل هذا الجهاز العامل ـ بطبيعة الحال ـ الشعب كله ، بوصفه (القوة العاملة) فى المجتمع .

وهذا الشعب، أو القوة العاملة فى المجتمع ، (متباين) فى كل شىء ، كما رأينا فى كتابنا الأسبق ، عن (قضية الحرية) ـ ولولا هذا (التباين) ، ما قامت فى المجتمع حياة ، وذلك لأن حياة المجتمع ، تحتاج « إلى فكر المفكر ، وتخطيط المخطط ،وتنفيذ المنفذ » ، كما تحتاج « إلى هندسة المهندس ، وطب الطبيب ، وصيدلة الصيدلى » ، و « إلى عقل الرياضى ، وخبرة العالم فى معمله ، وعضلات الفلاح ، وعرق العامل ،وغيرها »(٢) .

---

(١) دكتور عبدالغنى عبود : الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة ـ الكتاب الثامن من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ يونية ١٩٧٩ ، ص ٦٢

(٢) دكتور عبدالغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى ـ الكتاب السابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ يناير ١٩٧٩ ، ص ٧٤ .

وفى هذا المجتمع كذلك ، من يكد ويعرق ، وفيه العاجز ، الذى لابد أن يعوله غيره ، ولكن حركة الحياة فى المجتمع ،تسير بهذا ، كما تسير بذاك .

ومثلما تضطر الأسرة ، إلى أن (تحتك) بالأسر الأخرى ، وأن تربط بينها وبين الأسر الأخرى ، روابط مختلفة ، كروابط الدم ، أو الجوار ، أو المصالح المشتركة ، تضطر الأسرة الكبرى ، أو الدولة ، بوصفها ممثلا للمجتمع ، إلى أن ترتبط بالمجتمعات - أول الدول - الأخرى ، بروابط ، شبيهة بتلك الروابط الأسرية .

ومن ثم فالتباين فى الأسرة ، كالتباين بين أفراد المجتمع ، (ضرورة)من ضرورات الحياة ، فى الأسرة وفى المجتمع ، على السواء ، وهو ليس من قبيل (الشر ، الذى لابد منه) .

والاستعداد لتقبل هذا التباين ، على مستوى المجتمع ، توضع جذوره فى الحياة فى الأسرة ، ومن ثم كان « صلاح الفرد ، نواة صلاح الأسرة ، وصلاح الأسرة ،مقدمة صلاح المجموع ، الذى هو نتيجة الصلاحين جميعا ، فلا يكون ما لم يكونا ، ولا يتم ما لم يتما »(١) .

ولم يكن غريبا ، أن يذهب المفكرون فى شئون المجتمع ، إلى إصلاح هذا المجتمع ،من خلال إصلاح أحوال الأسرة ، « فالقلق والتعب ، اللذان يحس بهما الإنسان فى المجتمع ، مصدرهما حياة الإنسان فى الأسرة » ، و « من ثم ، وجب اتخاذ كل الخطوات المستطاعة ، لتقوية بناء الأسرة ،

---

(١) مجموعة رسائل العلامة المجاهد ، الشيخ محمد الحامد ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الدعوة بحماة ـ سورية ـ شوال ١٣٧٥ هـ ، ص ٣٥ .

إذا أردنا المحافظة على البناء الاجتماعى كله » ، « فكل منا ، سواء أردنا أم لم نرد ، إنما هو نتاج أسرته »(١) .

ووظائف متباينة :

رغم أن الأسرة (كيان) واحد صغير ، وأن المجتمع (كيان) واحد كبير ، فإن هذا (الكيان الواحد) فى الحالين ، متباينة أجزاؤه ، تباين أجزاء جسم الإنسان ، بين عين ورأس وأذن ويد وقدم وبطن وغيرها .

ولولا هذا التباين ، بين أعضاء الجسد الواحد ، ما استطاع هذا الجسد ، القيام بوظائفه .

فهو (تباين) ، يحقق (تكاملا) فى حياة الإنسان ، وليس تباينا يؤدى إلى (تنافر) ، فى حياة هذا الإنسان .

والتباين ذاته ، موجود على مستوى الأسرة ، موجود على مستوى المجتمع ، فقد « تكون ظاهرة تفرد الإنسان ، من أهم حقائق الوجود ، فكثيرا ما نجد أن الأطفال الذين ينشأون فى نفس الظروف الأسرية ، يختلف بعضهم عن بعض ، حتى منذ الطفولة الباكرة ، ومع نموهم وارتقائهم ، تتمايز مواهبهم وأمزجتهم وعاداتهم ، وطرق استجابتهم للمواقف

---

(1) COOPER, DAN H. : The Administration of Schools for Better Living, Proceedings of the Co-operative Conference for Administrative Officers of Public and Private Schools; North-western University, University of Chicago, 1948, Vol. XI, The University of Chicago Press, Chicago, Illinois, p. 126.

المختلفة »(١) .

بل إن هذا التباين،لا يقف عند حد الإنسان ، وإنما يتعداه إلى الكائنات العضوية كلها ، «فمن الملاحظ، أن أفراد النوع الواحد ، يختلفون فيما بينهم، اختلاف الأنواع بعضها عن بعض » ، و « أفراد النوع الواحد ، يختلفون تشريحيا وفسيولوجيا وبيوكيميائيا ، فى كل خاصية يمكن قياسها . فأعضاء الجسم ،كالقلب والمعدة ، تختلف اختلافات واضحة ، فى الحجم والشكل، كما أن التركيب الكيميائى لسوائل الجسم ،كاللعاب والبول، يظهر اختلافات واضحة ، ومعـــدل نشاط القلب والتنفس ، وغير ذلك ، يظهر نفس الاختلاف »(٢) .

ولقد عبر القرآن الكريم،عن هذه الحقيقة،التى توصل إليها العلم الحديث، تعبير واضحا ، لا لبس فيه ولا غموض ، حيث يقول سبحانه :

- « إن كل من فى السموات والأرض، إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً »(٣) .

والفردية - هنا - لغة - تعنى التوحد، فالفرد Individual ،هو «المنفرد المتوحد» (٤) — أي الذى لا مثيـــل له ولا شبيه ، فهو « فريد »

---

(١) دكتور فؤاد ابو حطب : القدرات العقلية — الطبعة الثانية — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧٨ ، ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥ ، ٦ .

(٣) قرآن كريم : مريم — ١٩ : ٩٣ — ٩٥ .

(٤) المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصـطفي وآخرون — وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجـزء الثـانى — مجمع اللغـة العربية — مطبعة مصر — ١٩٦١ ، ص ٦٨٦ .

لا يتكرر » (١) .

وليس المعنى القرآني ، ببعيد عن هذا المعنى اللغوى للفردية ، فكل إنسان ـ فى الآيات السابقة من سورة مريم ـ يأتى ربه يوم القيامة « منفرداً ، لا أهل معه ولا مال »(٢) ، أى « لا ناصر له ولا مجير ، إلا الله وحده ، لا شريك له »(٣) ، ومن ثم فهو « لا يأنس بأحد ، ولا يعتز بأحد . حتى روح الجماعة ، ومشاعر الجماعة ، يجرد منها ، فإذا هو وحيد فريد ، أمام الديان »(٤) .

ذلك لأنه أتى إلى هذه الحياة الدنيا ، قبل أن ينتقل منها ، إلى الدار الآخرة ، وحيداً فريداً أيضاً ـ كما يقول بذلك العلم الحديث ، ومن ثم كان العدل الإلهى ، يفرض ، أن يحاسب ـ يوم القيامة ـ وحيداً أيضاً .

وإذا انغمس الإنسان فى الأسرة ، أو فى الجماعة ، فإنه إنما ينغمس فيهما . .

---

(1) The CONCISE OXFORD DICTIONARY, of Current English, Edited by : H. W. FOWLER and F. G. FOWLER, based on : the Oxford Dictionary, Fourth Edition, Revised by : Mc INTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1951, p. 608.

(٢) محمد محمد عبد اللطيف ، ابن الخطيب ، صاحب الفرقان : أوضح التفاسير ـ الطبعة الخامسة ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ شعبان ١٣٧٥ ـ مارس ١٩٥٦ ، ص ٢٥٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ـ الجزء الثالث ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ، ص ١٣٩ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ـ المجلد الرابع (الأجزاء : ١٢ ـ ١٨) ـ الطبعة الشرعية الرابعة ـ دار الشروق ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ، ص ٢٣٢١ .

فردا ، متميزا عن غيره ، له سماته وملامحه الخاصة، التى لا تتكرر بنصها، فى الجنس البشري كله .

والجماعة الإنسانية ـ أسرة أو مجتمعا ـ تثرى ، بقدر ما (تمايز) مواهب أبنائهـا وتتنوع ، وتفتقر ، كلما كانت هناك محاولة (لصب) الجميع فى قالب واحد .

وفى الأسرة والمجتمع معا ، نرى الأسرة تثرى من خلال مواهب أبنائها المتنوعة ، كما يثرى المجتمع من خلال مواهب أبنائه المتنوعة ، وقد رأينا فى كتابنا السابق، عن الأسرة ، أن كل فرد من أفرادها ، لديه قدرة على العطاء ، وأنه بالفعل يعطى، رغم أنه يبدو للنظرة السطحية، عبئا على الأسرة ، فليس الأب والأم وحدهما، هما اللذان يعطيان ، ولـكن الطفل الصغير يعطى أيضا، على طريقته الخاصة(١) ، كما أن الأب الفانى ، أو الأم الفانية ، كل منهما يعطى .. على طريقته الخاصة أيضا .

فالأب يعطى ، من خلال (سياحته) فى خارج البيت ، والأم تعطى من خلال (سياستها) لشئون البيت ، والطفل الصغير ، والشيخ الفانى ، كل منهما يعطى (الطاقة) ، التى يسيح بهـا الأب ، وتسوس بها الأم ، وتتمثل هذه الطاقة ، فى إحساس (الرضا) ، الذى يحس به كل منهمـا فى نفسه ، وهو يقوم (بواجبه) ، نحو ماضى الأسرة ، متمثلا فى الفانين من أبنائها ، ونحو مستقبلها ، متمثلا فى الأطفال الصغار .

كذلك نرى المجتمع يثرى ، من خلال تنوع مواهب أبنائه ، حتى أولئك

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

الذين يبدون — بالنظرة السطحية — عبئا على الجماهير ، العاملة بالفعل فى المجتمع ، فهذه الجماهير العاملة بالفعل ، تحس بالرضا ، وبراحة الضمير ، وبالقدرة على العطاء ، حين ترى أنها تعمل ، لا من أجلها وحدها ، بل ومن أجل ماضى الأمة وحاضرها ومستقبلها أيضاً ، فيكون هذا الأحساس ، (زادا) لها فى حركة حياتها وبنائها ، و (طاقة) تزيد هذا الزاد ، وتزيد قوة هذه الجماهير العاملة ، قوة .

فالأفراد (يندمجون) فى الأسرة ، ومن بعدها (يندمجون) فى المجتمع ، بفرديتهم تلك ، ثم تأتى الأسرة ، ويأتى المجتمع بعدها ، فيضع كل منهما (بصمته) على هؤلاء الأفراد ، ومن ثم يظلون مختلفين ، رغم ما بينهم من تقارب ، حيث نرى « سمات عامة للإنجليز ، تختلف عن سمات الفرنسيين والأمريكيين والروس والصينيين والمصريين والعراقيين ، وغيرهم وغيرهم »(١) — إلا أن كل إنجليزى ، يختلف عن غيره من الإنجليز ، و (يتفرد) دونهم ، بسمات وملامح خاصة ، لا توجد لدى الباقين .

ويرى علماء الأنثروبولوجى — وعلماء الاجتماع — أن الإنسان (يسمو على) نفسه ، بانتقاله من (الذاتية) إلى الجماعية ، فهو — فى نظرهم — يتميز على الحيوان ، بأنه « مخلوق متحضر ، له تاريخ ، وقيم اجتماعية »(٢) ،

---

(١) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٦ ، ص ٥٤ .

(2) KROEBER, A. L. : Anthropology (Race, Language, Culture, Psychology, Prehistory); Revised Edition, Harcourt, Brace and Company, Inc., 1948, p. 1.

حيث ثقافة المجتمع « تسمو » « فوق مستوى الفرد » فى قدرتها على تخليد نفسها، وعلى البقاء بعد انقراض أى من الشخصيات، التى تسهم فيها »(١).

ونسى هؤلاء العلماء، أن الإنسان لا يقع تحت تأثير المجتمع، وقوع قطعة العجين فى يد الخباز، أو قطعة الطين أو الصلصال فى يد المثال، أو قطعة الخشب فى يد النجار. . وإنما هو يقتحم آفاق المجتمع، بشخصيته المتفردة تلك، ومن خلال الحواس، « يعرف الفرد بناء العالم المحيط به، الذى يجب أن يعيش فيه، والذى يجب أن يتكيف معه، إلى حد ما »(٢)، لا الذى يجب أن (ينصهر) فيه .

ولولا ذلك الانفراد أو التفرد فى الإنسان، ما نبت فكر (ثورى) فى أى مجتمع، بينما واقع المجتمعات فى القديم والحديث، يدل على أن (الثورة) — بمعنى عدم الرضا — موجودة فى كل زمان ومكان، وقد تصل هذه (الثورة)، إلى الكثير من أبناء المجتمع، فيقوم (انقلاب) فى حياتهم، مسلح أو غير مسلح، يتغير به واقع المجتمع، من حال إلى حال .

وقد يقود هذا الانقلاب، فرد أو أفراد، كما « حدث فى الثورات التاريخية الكبرى، وقد يتدافع إليه الشعب كله، ومن خلال المسيرة، تبرز القيادة، كما حدث فى إيران، فى مطلع العام قبل الأخير، من القرن الرابع العشر الهجرى (مطلع سنة ١٩٧٩) .

هذا، رغم أن الثوار فى الحالين، قد تم « تشكيلهم الأيديولوجى »،

---

(١) رالف لنتون : دراسة الانسان — ترجمة عبد الملك الناشف — منشورات المكتبة العصرية — صيدا — بيروت — ١٩٦٤، ص ٣٨٥ .

(٢) فيليب هـ . فينكس : فلسفة التربية — ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحى — دار النهضة العربية — ١٩٦٥، ص ٤٨٧ .

« وسط هذه الثقافة ، شأنهم فى ذلك، شأن غيرهم من الناس »(١) .

فالتباين ، الناتج عن الفردية أو التفرد ، هو أساس حياة أفراد الأسرة الواحدة ، وأساس حياة أفراد المجتمع الواحد ، على السواء ، وهؤلاء الأفراد، يقتحمون -بفرديتهم- آفاق المجتمع ، متأثرين بها ، ومؤثرين فيها ، على نحو ما .

وبراعة المجتمع - كبراعة الأسرة - تأتى من الوقوف على (إمكانيات) كل فرد ، لاستغلالها ، وتوجيهها ، على النحو الذى يحقق صالح الأسرة والمجتمع ، ويعطى الفرد فرصة الإحساس ، بأنه يقوم بعمل بناء ، (يعطى) به ، ويساهم فى البناء .

فمجرد هذا الإحساس ، متعة كبرى للفرد ، تعتبر بمثابة (وقود) له ، لا غنى لهعنه ، لتسيير عجلة حياته ، ودفعها إلى أمام . وهو (وقود) معنوى ، لا يقل أهمية فى حياة الإنسان ، عن (الوقود) المادى ، متمثلا فى الكسب ، أو فى الشكر ، أو ما إليهما .

ومجتمع واحـد :

فى العالم اليوم نظامان متناقضان ، يدعى أحدهما أنه يتخذ من (الإنسان الفرد) منطلقه فى التفكير ، ومنتهاه فى هـذا التفكير(٢)، ويُدعى الثانى ، أن (المجتمع) ، هو نقطة البداية ، ونقطة النهاية ، فى تفكيره(٣) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ــ الطبعة الثانية ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٨ ، ص ٣١ .

(٢) هذا هو ما يدعيه النظام الليبرالى ــ الغــربى .

(٣) وهذا هو مايدعيه النظام الاشتراكى (الشيوعى) .

وقد بينا فى كتابنا الأسبق من السلسلة ، أن النظامين كاذبان فى ادعائهما ، وأن كلا منهما ، يعتمد على الخداع والتزييف، فيما يدعيه ، تحقيقاً لأغراض ومطامع خاصة ، يهدف إلى تحقيقها .

فليس النظام الليبرالى الغربى بالنظام (الفردى) ، كما يدعى ، وإنما هو نظام (جماعى) ، شأنه فى ذلك شأن النظام الشيوعى الشرقى ، وكل الفرق بينهما ، هو أن النظام الغربى ، (تتقلص) فيه (سلطة) الدولة ، لتحل محلها (سلطات) أخرى ، أخطر وأعنف ، فى ممارسة السلطة ، من الدولة .

ففى غياب الدولة وسلطانها فى المجتمعات الغربية، « صارت المجتمعات الغربية اليوم .. مجتمعات عصابات .. منظمة »(١) .

ولقد كانت أذكى هذه العصابات على الإطلاق ، عصابة اليهود ، التى استطاعت (التسلل) إلى (كل شىء) حساس ، فى هذه المجتمعات الغربية ، « فى العلم والفن والاكتشاف والاختراع ، وفى السيطرة على هذه الحضارة ، وتملك زمامها ، وتوجيهها ، فى صالحهم .. »(٢) .

يضاف إلى ذلك ، أن الحضارة الغربية المسيحية اسما ، واليهودية فعلا ، قد ارتكبت ـ على حـــد تعبير الطبيب الفرنسى ، العلامة ألكسيس

(١) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى (مرجع سابق) ، ص ٥٣ .

(٢) أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف ــ الطبعة الثالثة ــ المختار الاسلامى ، للطبـاعة والنشر والتــوزيع ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م ، ص ١٥ .

كاريل - «غلطة جسيمة» ، باستبدالها « تدريب الأسرة، بالمدرسة ، استبدالا تاما »(١) .

ذلك أن الأسرة ، تعامل أبناءها ، كأفراد ، ومن هنا يتوفر لدى هؤلاء الأبناء ، ما يلزم توفره لهم، من صحة نفسية، يعتمدون عليها، ولا يستطيعون الاستغناء عنها ، وهم يقتحمون آفاق المجتمع - بينما المدرسة ، تعامل المتعلمين فيها (كخلاصات) ، على حـــد تعبير ألـكسيس كاريل ، حيث «يوضع الأطفال ، فى سن مبكرة جدا ، فى مدارس ، يعلمون فيها بالجملة »(٢) .

ولا تقف معاملة الناس (كخلاصات) ، عند حد الأطفال فقط ، بل إن أفراد المجتمع جميعا ، يعاملون هذه المعاملة ، باسم (المساواة) ، حيث «يتجاهل المجتمع العصرى الفرد» ، ولو « أننا كنا جميعا متساوين، لأمكن أن نربى ونعيش ونعمل ، فى قطعان كبيرة ، أشبه بقطعان الأغنام »(٣) .

ومثلما يعتبر النظام الليبرالى الغربى نظاما (جماعيا) ، على عكس ما يدعى ويبدو ، يعتبر النظام الاشتراكى (الشيوعى) نظـاما (ضد المجتمع) ، لصالح عدد قليل جدا من (الأفراد) ، يتربع على السلطة ، باسم (الثورة) ، التى من خلالها وصل هذا العدد القليل ، إلى السلطة .

وليس (الثورى) بالإنسان (المبتـكر) ، أو (الخلاق) ، أو (المبدع)،

---

(١) ألكسيس كاريل : الانسان ، ذلك المجهول ــ تعريب : شفيق أسعد فريد ــ مكتبة المعـارف ــ بيروت ــ ١٩٧٤ ، ص ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

كما يحب بعض من يحبون أن يوصفوا (بالثورية) ، أن يوصفوا ، أوكما يردد بعض التافهين ، المحيطين بهؤلاء (الثوريين) ، أو القريبين منهم ، المستفيدين من هذه الإحاطة والقرب ، الذين يعرفون ما يحبه (سادتهم) .. ولا بد أن « يكون الثورى محافظا و (اتباعيا) فى البداية ، فجددا بعد ذلك » ، على حد تعبير الدكتور محمد عزيز الحبابى . « إن الأصالة لا تكون أبدا فى الأول ، فالمصلح أو المجدد ، بل حتى العبقرى، يبدأ بأن يخضع لآراء عصره ، وأن يتأثر بطابع محيطه . إنه يهضم ويستسيغ ، قبل أن يعدل »(١).

وتقوم النظم (الثورية) فى الاشتراكية (الشيوعية) ، على فرضية خاطئة ، وهى أن الناس متساوون، بينما الناس -على حد تعبير ألكسيس كاريل- لا يمكن أن يكونوا متساوين ، « فتساوى حقوقهم ، من الأوهام »(٢).

والفرضية الخاطئة مقصودة ، عند هؤلاء (الثوريين) ، بهدف (خداع) المطحونين والغوغاء، حتى يتمكن هؤلاء الثوريون ، من أن يصلوا - من خلالهم - إلى السلطة ، وعندها يظهرون على حقيقتهم ، عنفاً وظلماً وكبتاً ، وهنا - فقط - يتحولون إلى يمينيين ، أكثر من اليمينيين بطبيعتهم ، « فانتقاد الحكومة ومؤسساتها ، ممنوع منعاً باتاً ، فى روسيا السوفيتية مثلا »(٣) ، كما أنه ممنوع منعاً باتاً ، فى كل (الثوريات) الاشتراكية.

إن « البلشفية » تستميت فى عداء الدين، من أجل مظاهره الغامضة، وعدته

---

(١) الدكتور محمد عزيز الحبابى : من الحريات الى التحرر - (مكتبة الدراسات الفلسفية) - دار المعارف بمصر - ١٩٧٢ ، ص ٢٠٤ .

(٢) الكسيس كاريل (المرجع الأسبق) ، ص ٣٠٧ .

(٣) بيتر م. بلاو : البيروقراطية فى المجتمع الحديث - ترجمة اسماعيل الناظر ، ومعد كيالى - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦١ ، ص ١٤٦ .

من الطقوس والشعائر، ومع ذلك لم تحرز البلشفية تفوقها، إلا بانتحال أساليب الدين ووسائله ، ومن هنا تدعى الآن (دينا) !

أما كتبها المقدسة ، فهى تعاليم كارل ماركس » . « وللشيوعية شراحها ومريدوها ودعاتها ،وحتى شهداؤها » ، « وهى تأخذ فى مطاردة المراطقة، وفى تصفية الزنادقة ،وفى إقامة محاكم التفتيش،وفى عمل المذابح، ضد المتشككين والمنكرين والمرتدين، ولها طرائقها فى (الإلهام) و (الحرمان) . . »(١).

وإنما (الفردية) و (الجماعية) معا ، موجودان بصورة (مثالية) ، فى الإسلام ، وهما موجودان بصورة مثالية ، لأن الفردية موجودة ، حيث يجب أن تكون الفردية ، وحيث تتفق مع (الطبيعة الإنسانية) ، ولأن (الجماعية) موجودة ، حيث يجب أن تكون الجماعية ، وحيث تتفق مع (الطبيعة الإنسانية) أيضا ، على نحو ما سنرى فيما بعد ، فى فصول الكتاب التالية .

وكل من النظامين المتناقضين فيما يدعيانه ــ النظام الليبرالى والنظام الاشتراكى ــ يعتمد على (الأسرة) بالدرجة الأولى ، فى تحديد (شكل) المواطن ، (لتصديره) بعد ذلك إلى المجتمع ، على النحو الذى يرغب فيه .

ففى ظل الفلسفة الليبرالية الغربية ـ الرأسمالية، نرى (للأبناء) حقوقاً على الآباء، يفرضها(القانون)،ولولا هذا القانون،لتخلص هؤلاء الآباء من أبنائهم ، منذ طفولتهم المبكرة(٢) . وأمام ضغط القانون ، نجد الهروب من الزواج ،

---

(١) ميرزا محمد حسين : الاسلام وتوازن المجتمع ــ ترجمة فتحى عثمان ــ رقم (٣٥) من (سلسلة الثقافة الاسلامية) ــ دار الثقافة العربية للطباعة ــ ذو القعدة ١٣٨١ هـ ــ مايو ١٩٦٢ م ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٢٤ . ٢٥ .

وهو هروب تساعد عليه الحياة الغربية ، والوضع المتردى والسيء، الذى وصلت إليه المرأة فى هذه الحياة (١). ومن (يضطرون) إلى الزواج، لأى سبب ، يحاولون عدم الإنجاب ، حتى لقد اضطرت بعض هذه المجتمعات ، إلى منح مكافآت مجزية للمنجبين ، تشجيعا لهم على هذا الإنجاب .

وإذا ما تم إنجاب أطفال ، فإن دور الحضانة ورياض الأطفال ، موجودة فى مثل هذه المجتمعات، لتتلقفهم، والحلول محل الأسرة، فى الإشراف عليهم وتوجيههم .

وفى مثل هذا الجو ، تكون (الفردية) الشكلية ، ويكون ضياع هذه الفردية ، منذ البداية ، فى الواقع ، فى بوتقة هذه الجماعية المبكرة .

وما أن يصل الطفل إلى سن العاشرة فى هذه المجتمعات ، حتى يبدأ فى الاعتماد على نفسه تماما ، وحتى تبدأ الأسرة فى (التخلص) منه ، وجو المجتمع الغربى نفسه ، بما يوفره من (حرية) للأبناء على حساب الآباء ، وقدرتهم على توجيه أبنائهم ، وبما يوفره فى خارج الأسرة من (مغريات) ، يدفع الشباب منذ البداية ، إلى (الانخراط) فى عصابة من العصابات الكثيرة، التى يفيض بها ، هذا المجتمع .

ولم يكن غريباً ، أن تنتشر (المخدرات) بأنواعها المختلفة، إنتشاراً واسعاً ، بين البنين والبنات ، على حد سواء ، وأن تزيد نسبة الأمراض العقلية والنفسية بينهم ، عاماً بعد عام ، وأن تزيد نسبة الانتحار بينهم ، عاما بعد عام أيضاً ، كما وضحنا فى مناسبات كثيرة ، فى كتب سابقة من كتب السلسلة .

إن الإنسان هناك ، تقذف به الأسرة إلى الحياة ، فى سن مبكرة ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٤ — ١٣٦ .

لا يستطيع معها تحمل تبعاتها ، فتكون النتيجة ، أن تتلقفه (عصابة) من العصابات ، التى لا تعد ولا تحصى . . فى هذه المجتمعات ، ثم يحس — فى النهاية — بأن حياته لا قيمة لها ، ومن ثم لا بد من التخلص منها .

وفى ظل الفلسفة الاشتراكية — الشيوعية ، لا نرى آباء وأبناء ، بعد أن أفلحت الماركسية فى القضاء على الأسرة، بوصفها (العقبة) الأساسية ، التى تقف وراء الولاء الكامل للدولة — ولرئيسها أساساً — فى النفوس .

ومن ثم نجد الاتصال بين الرجل والمرأة فى هذه المجتمعات ، هو (إنجاب أطفال، لخدمة الدولة)، كما كان الحال ، فى أشهر المجتمعات القديمة بداية ، وهو مجتمع اسبرطة Sparta ، حيث كانت وظيفة المرأة ، أن تكون « زوجة ، تقدم للدولة محاربين أصحاء أشداء ، بل إن الرجل المسن ، كان يعير زوجته لغيره من الرجال ، حتى تنجب للدولة ، أطفالا أقوياء »(١) .

ومن ثم (فالمجتمع)، هو الأسرة، منذ البداية، فى الماركسية ، و (الدولة والحزب الشيوعى) ، هما الأب والأم للأبناء ، ووظيفة الرجل والمرأة ، هى إنجاب هؤلاء الأبناء ، للأب والأم الحقيقيين — الدولة والحزب .

وتربية هؤلاء الأبناء ، تتم فى حضانات الدولة ، إما لانشغال الرجل والمرأة ، بالعمل ليلا ونهاراً ، وإما لقطع العلاقة بينهما ، وبين أبناء غيرهما (الدولة والحزب) . . . ثم ينتقل الأبناء من الحضانات إلى المدارس ، وينخرطان — فى أثنائها — فى منظمات الشباب ، وفى العمل الاجتماعى ، حتى يسلما فى النهاية إلى المجتمع ، بمختلف مؤسساته ، بعد أن تكون الأسرة قد

---

(١) دكتور سعد مرسى احمد ، ودكتـور سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم — عالم الكتب — ١٩٧٢ ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

أدت وظيفتها، بزرع (الولاء) فى النفوس ، لقيادة الدولة والحزب ، فيكون منه السمع والطاعة لهما ، دون غيرهما .

وقد يتم ترك الأبناء فى داخل المنزل ، مع والديهما رغم ذلك ، لمجرد إيجاد (مأوى) لهم ، يوفر على الدولة جهد هذا الإيواء ، وقد يكون لتحقيق (تجسس) الكبار على الصغار ، وتجسس الصغار على الكبار .

فالمعسكر الشرقى الشيوعى ، مشهور بمحاولات (إيقاع) الكل بالكل ، وتجسس الكل على الكل ، لصالح (الأوحد) ، الذى يحكم كل بلد من بلاده .

ومن ثم نجد (البصمة) المميزة الواضحة على الفرد ، بصمة واحدة فى كل مجتمع ، برغم الاختلافات الفردية، التى تحدثنا عنها ، بين فرد وفرد . . وهى بصمة فعلت الأسرة فعلها فى (وضعها) على أبنائها ، إعدادا لهؤلاء الأبناء للحياة فى هذا المجتمع ، وفعل المجتمع - قبل ذلك وبعده - فعله ، فى (بلورتها) ، على هؤلاء الأبناء .

فهى مهمة واحدة ، تقوم بها الأسرة ، ويقوم بها المجتمع ، تجاه الأجيال التالية .

نمـــاذج مختلفة :

ومن ثم فليس صحيحاً، ذلك الادعاء ، الذى يرى أن (الدولة)، قد تفرض على الأسرة ، نمطاً للأبناء ، لا ترضى عنه ، وإنما المنطقى ، هو أن (تصدر) الأسرة للمجتمع ، الذى تحكمه هذه الدولة ، نمط المواطنين ، على نحو ما تريده الدولة .

على أننا لا نريد أن (نغالى)، فى تقدير ما تقوم به الأسرة، فى (تشكيل)

أبنائها ،مغ لاة قد تدل على(شل) يد الدولة ، فى هذا التشكيل،إذ الحقيقة ، كما قلنا من قبل ، هى أن الأسرة صورة مصغرة للمجتمع ، والمجتمع صورة مكبرة للأسرة ،وأن الملامح العامة للدولة، تكاد أن تكون هى هى ، الملامح العامة للأسرة ، فى أى مجتمع من المجتمعات .

ولعل المجتمعات القديمة ـ كنماذج ـ اوضح من المجتمعات الحديثة ، والمعاصرة ، فى هذا المجال .

ذلك أن حياة المجتمعات الحديثة، حياة مبنية كلها ،على الزيف والخداع والتضليل ، كما رأينا فى مطلع كتابنا الأسبق من كتب السلسلة(١) ، أما المجتمعات القديمة . فكانت سمة الحياد فيها ، هى الوضوح ، وعدم(اللف والدوران) ، لأسباب كثيرة ، ليس هنا مجال ذكرها .

وفى هـــذه المجتمعات القديمة ، على سبيل المثال ، «كانت الرقابة والإشراف على التعليم ، فى يد الأسرة ، التى كانت مسئولة عن تدريب أطفالها ، والتعود على عادات القبيلة »(٢) وكانت غاية الأسرة فى تربيتها ، هى « تمكين الفرد ، من أن يكون أكثر اتصالا بالحياة الثقافية ، للمجتمع الذى يعيش فيه »(٣) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا اخرى (مرجع سابق) ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : دراسات فى التربية المقارنة ـــ الطبعة الأولى ـــ مكتبة الأنجلو المصرية ـــ ١٩٥٨ ، ص ١٣ .

(3) BUTIS, R. FREEMAN : A Cultural History of Western Education, Its Social and Intellectual Foundation; Secend Edition, Mc Graw - Hill Company, New-York, 1955, p. 15.

ويلفت نظر الدكتور بول مونرو ، أن « تربية الرجل البدائى تتكون » « من عمليتين رئيسيتين ، هما :

أولا : الإعداد الضرورى اللازم ، للحصول على ضروريات الحياة العملية » .

ثانياً : تدريب الفرد على الطرق المقبولة ، أو على ضروب العبادة ، التى بوساطتها ، لا بد لكل فرد من أفراد الجماعة ، أن يبذل قصارى جهده ، لترضيه عالم الأرواح »(١) - أى أن الاهتمام « كان يتجه إلى تلقين العقيدة »(٢) .

وكان تقليد الصغار للكبار ، يلعب دوره الواضح ، فى هذه التربية البدائية ، ومن خلالها يتم (التطبيع الاجتماعى) للصغار(٣) .

ومن ثم اختلفت هذه التربية للصغار ، من مجتمع إلى مجتمع ، بحسب ما بلغه كل مجتمع ، « من الرقى الفكرى والاجتماعى والروحى » ، و « وفقا للسائد فى المجتمع من عقائد وفلسفات ، ووفقاً لحالته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ووفقاً لظروفه الطبيعية ، ولمستواه الثقافى »(٤) .

---

(١) الدكتور بول منرو : المرجع ، فى تاريخ التربية — الجزء الأول — ترجمة صالح عبد العزيز — راجعه حامد عبد القادر — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٨ ، ص ١٠ .

(٢) كلنتون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين — ترجمة عثمان نويه — تقديم صلاح دسوقى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٢ ، ص ٣٣ .

(3) GOODSELL, WILLYSTINE : A History of the Family, as a Social and Educational Institution. The Macmillan Company, New-York, 1923. p. 44.

(٤) فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان — مكتبة نهضة مصر ، ص ز (من المقدمة) .

وكانت التربية فى هذه المجتمعات القديمة ، تربية (دينية) ، بمعنى أن التربية فى الأسرة فى كل منها ، وكذلك التربية فى المجتمع ، كانت تسير وفق (المعتقدات) الدينية ، التى توصل إليها أبناء المجتمع ، فقد كان الدين فى هذه المجتمعات ، « لوناً من ألوان (التكيف) الإنسانى ، فى مواجهة قوى الطبيعة الشرسة ، من حول الإنسان ، ولوناً من ألوان مواجهة الإنسان (لقدره) ، على نحو يستطيع به مواجهة المصائب ، دون أن يتحطم على جنباتها »(١) .

ومثل هذا الدين، الذى لا يعدو أن يكون تفسيراً للحياة، « يكون له أثره على الفرد وعلى المجتمع ، على السواء »(٢) ، ومن ثم كان منطقياً ، أن يختلف هذا (الدين) ، من مجتمع قديم إلى آخر ، وأن يعكس هذا الدين فى كل مجتمع ، « ظروف مجتمعه ، وفلسفته وقيمه ومثله العليا ، أكثر مما يقدم ذلك التفسير الحقيقى للحياة ، كما فعلت الأديان السماوية بالفعل ، فيما بعد »(٣) .

وفى ظل البراهمانية ، أو البوذية ، أو الكونفوشيوسية ، أو التاوية ، أو الزرادشتية ، أو المزدية ، أو غيرها وغيرها ، (صيغت) الحياة فى هذا المجتمع أو ذاك ، وقامت الأسرة بتربية أبنائها ، على الخط الدينى ، المتفق عليه ، وأتم المجتمع — من خلال مؤسساته المختلفة — بعد ذلك - رسالة الأسرة ، فى هذه التربية .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر — الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٧ ، ص ٣٥ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة التاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ ، ص ٨٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

ويلفت نظر الباحثين ، ما لعبه – ولا يزال يلعبه — الدين اليهودى ، فى اليهود ، رغم ما تعرضوا له من شتات ، فقد « كان للتربية لديهم ، قوة خاصة ، هى التى استطاعت أن تبقى عاداتهم واعتقاداتهم حية ، طوال هذه العصور ، رغم ما خضع له اليهود منذ ثمانية عشر قرنا ، من فقدان لأرض يسكنونها ، وتشرد فى البلدان ، إذ لا شك أن بقاء الشعب اليهودى متماسكا فى الوشائج ، التى تربط أبناءه ، دون أن تكون له دولة تجمعه ، أو رئيس يوجهه ، يرجع قبل كل شىء ، إلى قوة التربية الدينية والقومية ، التى نقلها قدماء العبريين ، إلى أحفادهم »(١) .

ويرى جودسل ، أن « المنزل اليهودى ، كانت له وظائف بالغة الأهمية » ، وأنه « كان المؤسسة التربوية الوحيدة للجماهير ، حتى عصر المسيح ، وأن الآباء ، كانوا هم المدرسين الأساسيين ، وأن العلاقة بين الآباء اليهود وأبنائهم ، نتيجة لذلك ، كانت ذات طابع بطريركى » ، ومن ثم « كان الاحترام الكامل للوالدين ، مصحوبا بالطاعة العمياء ، مطلوبين من كل الأطفال اليهود ، منذ طفولتهم . وحتى الوقت الحاضر ، يعتبر الوفاء الشديد ، من الأبناء للآباء ، والعطف التام من اليهود ، على آبائهم المسنين ، ظاهرين تماماً ، على عكس ما نرى تماماً ، فى العلاقات بين الآباء والأبناء ، من الأجناس الأخرى »(٢) .

فهى نماذج مختلفة ، قديمة وحديثة ، ولكنها تؤكد حقيقة واحدة ، وهى أن القول باختلاف ، يمكن أن يقع ، بين الأسرة والمجتمع ، فى تربية الصغار ، قول بعيد عن الصدق ، بعيد عن الواقع ، وإنما الواقع ، هو أن المجتمع

---

(١) الدكتـــور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربيـــة — من منشورات كلية التربية ، بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ ، ص ١٤ .

(2) GOODSELL, WILLYSTINE, Op., Cit., pp. 73,74.

لا يعدو أن يكون أسرة كبيرة ، وأن الأسرة لا تعدو أن تكون مجتمعا صغيراً، كما قلنا فى مطالع هذا الفصل(١) ،وأن كلتا الأسرتين صورة للأخرى ، فالمجتمع صورة مكبرة للأسرة الصغيرة ، والأسرة صورة مصغرة للمجتمع .

وهذه النماذج المختلفة ، تؤكد أيضاً ، أن أبناء هذه الأسرة ، أو ذلك المجتمع ، متباينون ،وأن هذا التباين ، مصدر خير للأسرة والمجتمع جميعاً ، وليس فيه خطر من أى نوع ، يهدد هذا المجتمع ، أو تلك الأسرة ، وهو مصدر خير ، « لأنه يؤدى إلى (تكامل) فى حياة الأسرة وحياة المجتمع ، لا غنى لأحدهما عنه .

وهذا (التباين) ، موجود فى المجتمعات الديموقراطية والمجتمعات الاستبدادية ، وجوده فى المجتمعات الدينية ، والمجتمعات العلمانية ، ووجوده فى المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة .. على السواء .

ويمكن أن يؤدى هذا (التباين) إلى خير .. كما يمكن أن يؤدى إلى الشر ، لا من أجل التباين ذاته ، ولكن من أجل (الخطوط العامة) ، التى يسير عليها المجتمع ، وما إذا كانت هذه الخطوط العامة ، تتفق مع (الطبيعة الإنسانية) ، أو (الفطرة) التى فطر الله الناس عليها .. أم لا تتفق معها .

وذلك هو موضوع الفصول التالية من هذا الكتاب ، وسوف نراه ، فى ضوء ما سنعرضه ، من سمات وملامح الحياة ، فى المجتمع الإسلامى .

---

(١) ارجع الى ص ١٧ من الكتاب .

الفصل الثانى

مجتمع ربانى

تقـــديم :

كان الدين ـــ ولايزال ـــ من أكثر العوامل تأثيراً فى حياة الأفراد والمجتمعات . وليس صحيحا ما يدعيه البعض ، من أننا فى عصر (العقل) ، وبالتالى فنحن فى عصر (الشك) ، والشك ـــ بطبيعته ـــ نقيض الإيمان ، الذى عليه يقوم الدين ، وإنما الصحيح، هو أننا نعيش فى عصر الدين ، أكثر مما عاش الإنسان فى أى عصر سابق ، من عصور تاريخه .

ذلك أننا نعيش فى عصر التقدم العلمى والتكنولوجى ، وأن من أعظم منجزات هذا العصر بحق ، سرعة الاتصال وسهولته ، بين أبناء الشعب الواحد من جهة ، وبين الشعوب بعضها البعض ، من جهة أخرى .

فمن خلال (البث الجماعى) ، فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون، يسهل خلق (الأمة) الواحدة ، بمعتقداتها وآرائها ، ويسهل (صب) المواطنين جميعا فى (قالب) واحد ، وهذا القالب ، قالب دينى بالدرجة الأولى ـــ إذا فهمنا الدين كما يجب أن يفهم ، على أنه ما يدين به الإنسان ، أى ما يؤمن به ويعتقده[1] ، وعلى أساس هذا الذى يعتقده، تكون كل تصرفات الإنسان،

---

(١) اليـــاس انطـــون اليـــاس ، وادوار أ. اليـــاس : القاموس العصرى (عربى / انكليزى) ـــ الطبعـــة التاســـعة ـــ المطبعـــة العصرية ـــ ١٩٧٠ ، ص ٢٢٩ .

ومشاعره وأنماط تفكيره(١) ، فالإنسان مرتبط فى كل أفعاله ، بدينه(٢) .

ومن ثم كان ما يراه المرحوم عباس العقاد ، من أن « العقيدة الدينية ، هى فلسفة الحياة ، بالنسبة إلى الأمم التى تدين بها »(٣) ، ومن أن لكل أمة دينها ، الذى تدين به ، لذلك - أى فلسفتها التى تسير عليها فى حياتها ، فما « من قبيلة أو شعب أو حضارة ، إلا ولها دينها وآلهتها »(٤) .

ومن ثم كان القرن العشرون ، على حد تعبير المرحوم عباس العقاد ، « حقيقا أن يسمى بعصر (الأيديولوجية) ، أو عصر الحياة (على مبدأ أو عقيدة) » ، و « ليس أكثر من (المبادئ والعقائد) ، التى نسمع عنها فى هذا القرن ، ويسمونها بالمذاهب و (الأيديولوجيات) »(٥) .

وإذا كان العصر الذى نعيش فيه ، هو عصر الدين ، أو عصر الحياة على

---

(1) WEST, MICHAEL PHILIP, and ENDICOTT, JAMES GARETH : The New Method English Dictionary, Fourth Edition, Longman, 1961, p. 257.

(2) FOWLER, H. W. and FOWLER, F. G. (Edited by): The Concise Oxford Dictionary, of Current English, based on : The Oxford Dictionary, Fourth Edition, Revised by E. Mc INTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1951, p. 1029.

(٣) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — دار الاسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ ، ص ٧ (من المقدمة) .

(٤) الدكتور أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق — نقله عن الفرنسية : الدكتور عثمان أمين — دار الشروق — ١٩٧٥ ، ص ٣٢ .

(٥) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن الكريم — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٧٣ ، ص ٧ — من التمهيد .

عقيدة دينية ، فإن الفرق بين مجتمع وآخر ، يكون فرقا فى هذا (الدين) ، الذى يدين به أبناؤه ، وليس فرقا فى الدين ذاته .

وتتسع الخريطة الإنسانية هنا ، لتشمل ديانات السماء ، يهودية ومسيحية وإسلاما ، والديانات غير السماوية القديمة ، بوذية وتاوية وكونفوشيوسية ، التى عاد إليها ازدهارها من جديد ، فى الجنوب الشرقى من آسيا ، ومنه انتقلت ، حتى إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا أيضا — وكذلك الديانات الوضعية ، التى فرضت بالقوة ، على قطاع كبير من هذه الخريطة ، كالماركسية ، بألوانها ـ اللينينى ، الذى طبق فى الاتحاد السوفيتى ، ومن يسير فى فلكه ، والماوى الذى طبق فى الصين ، ومن يسير فى فلكها ، والتيتوى ، الذى طبق فى يوغوسلافيا ، وفى بعض بلاد العالم الثالث الاشتراكية ، التى نقلت هذه التجربة الماركسية اليوغوسلافية إلى بلادها ، وأطلقت عليها أسماء مختلفة ، ومن هذه البلاد ، مصرنا العزيزة ، منذ مطالع الستينات .

ولكل دين من هذه الأديان ملامح مميزة ، يختلف بها عن الأديان الأخرى ، ولا نبالغ إذا نحن قلنا : إن المحور الأساسى للإسلام ، هو (الربانية) ، وحول هذا المحور ، نجد محاور فرعية كثيرة ، تشتق منه ، على نحو ما سنرى ، فى هذا الفصل .

معنى الربانيـة :

ولا تعنى الربانية تحليقا فى آفاق من (الروحية) ، التى تحرر روح الإنسان من جسده ، أو تأخذ هذا الإنسان من مجتمعه ، ومن عالمه المادى الذى يعيش فيه ، لأن ذلك على نقيض (الفطرة) التى فطر الله الناس عليها ، كما رأيناها فى كتابنا الرابع من كتب السلسلة ، عن الإنسان ، الذى رأينا الإنسان فيه ،

كلا متكاملا ، لا يمكن تجزئته(١) ، وكما رأينا العلاقة بين الروح والجسد ، فى كتابنا الخامس منها(٢) .

وإنما (الربانية) تعنى ، أن يتمثل الإنسان فى نفسه ، جلال الخالق سبحانه ، وبديع خلقه ، وهو تمثل يفرض على الإنسان ، « الاعتقاد بوجوده ، الواجب لذاته ، غير المستمد من سواه ، ووصفه جل وعلا بصفات الكمال كلها » ، و « نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق سبحانه » ، و « عدم التعرض للحقيقة والماهية ، فى الذات والصفات » ، و « رسم الطريق إلى معرفة صفات الخالق ، وإدراك كمالات الألوهية ، ومميزاتها وآثارها ، و « تقوية الصلة بين الوجدان الإنسانى ، والخالق جل وعلا » ، و « مطالبة المؤمنين بأن يظهر فى أقوالهم وأفعالهم ، آثار هذه العناصر العقيدية . فالمؤمن متى اعتقد ان خالقه قادر ، كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة ، أن يتوكل عليه ، وأن يلجأ إليه ، وإذا اعتقد أنه عالم ، راقبه ، واستولت عليه خشيته »(٣) .

ومن ثم فإن معنى (الربانية) ، ليس بمعزل عن معنى (الإنسانية) ، على النحو الذى سنراه فى الفصل التالى ، وإنما المعنيان متداخلان ، لأن الربانية هى

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر — الكتاب الرابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٨ ، ص ١١٠ وما بعدها .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة — الكتاب الخامس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يونية ١٩٧٨ ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٣) الله فى العقيدة الاسلامية — من رسائل الامام الشهيد حسن البنا — دار الشهاب — ١٩٧٧ ، ص ٩ — ١٣ .

وحدها ، التى ترفع من الإنسانية ، إلى الدرجة العالية ، الجديرة بالإنسان ، « فقوة المسلم الحقيقية » ، « هى هذا الإيمان ، والسيرة الطيبة ، الناتجان عن رسوخ معانى كلمة (لا إله إلا الله) فى القلب ، فإن لم ترسخ هـذه المعانى فى القلب ، بل نطق بها اللسان فحسب ، ولم ينشأ عنها انقلاب فى الذهن ، وفى الحركات والأعمال ، ولم يتغير المرء ، بعد نطقه بهذه الكلمة ، بل بقى كما كان من قبل ، بلا فرق بينه وبين المنكرين لهـا ، من حيث الأعمال والأخلاق . . . » ، « فلا ندرى لعمر الله ، لمـاذا يفضل المسلم ، على غير المسلم ؟ »(١) .

وإنما يفضل المسلم على غير المسلم ، لأنه يحس بالعبودية لله ، نتيجة لهذه الربانية ، « فإن مقتضى الإيمان بالله تعالى ، توحيده ، ومقتضى الاعتقاد بأنه تعالى المعبود بحق ،الواجب الانقياد له على الإطلاق ، ومقتضى ذلك تنفيذ أمر لله ، والعمل فعلا بمـا أمر الله تعالى به ، والانتهاء فعلا عما نهى عنه ، وهذا داخل فى مضمون العبادة ، ولازم من الاعتقاد ،بأنه تعالى،هو المعبود بحق »(٢) .

ومن ثم فالمسلم مفضل على غير المسلم ، لأنه يعيش فى مجتمع ربانى ، يأتمر فيه الجميع بأمر الله سبحانه ، خالق الحياة والأحياء ، والعارف — وحده — بما خلق ، فيكون له — ولمجتمعه — مثل أعلى ، هو الله سبحانه، المتصف — وحده — سبحانه — بالكمال :

---

(١) ابو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربيـــة — دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٢٦٩ .

(٢) الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : دعاة ، لا قضاة (ابحـاث فى العقيدة الاسلامية ، ومنهج الدعوة الى الله) — رقم (١) من (كتـاب الدعوة) — دار الطباعة والنشر الاسلامية — ١٩٧٧ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

— « للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ، ولله المثل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم »(١) .

ذلك أنه بدون وجود هذا (المثل الأعلى) ، تكون حياة الإنسان،أبعد ماتكون عن هذه الحياة (الإنسانية)،وأقرب ما تكون إلى الحياة(الحيوانية)، « فالناس لا يتفقون على الخير والشر، لاعن جهل أساسا ، ولا لتحول العالم المستمر ، ولا لأن الكمال بعيد المنال ، ولكن لأنهم — أولا وقبل كل شيء — متمركزون حول أنفسهم، ثم هم بعد ذلك، يعززون هذه الأنانية ويعمقونها ، باصطناعهم لفلسفة،تهبط فيها القيم ،إلى مجرد اهتمامات ،أو شهوات أو رغبات، يستبعد فيها كل رجوع للخير ، من حيث هو خير ، وللصواب من حيث هو صواب وهكذا تقدم هذه الفلسفة،الضمان والعون النظرى،لخدمة الذات. فإذا أريد لهذا السبب الرئيسى من أسباب الفشل والفوضى الخلقية،أن يزول، وجب أن ينصرف الهدف المركزى من التربية والتعليم ، إلى تحويل الناس إلى خدمة الخير ، بدلا من اجتذاب اللذة والسرور ، لأنفسهم »(٢) .

ومن أجل ذلك ، فسر ابن كثير الآية القرآنية السابقة،بقوله : « وقوله هاهنا (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) ، أى النقص ، إنما ينسب إليهم ، (ولله المثل الأعلى) ، أى الكمال المطلق من كل وجه ،وهو منسوب

---

(١) قرآن كريم : النحل — ١٦ : ٦٠ .

(٢) فيليب هـ. فينكس : التربية والصالح العام — ترجمة السيد محمد العزاوى ، والدكتور يوسف خليل — مراجعة محمد سليمان شعلان — تقديم السيد يوسف — الجمهورية العربية المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٩٦٥ ، ص ٧ ، ٨ .

إليه ، (وهو العزيز الحكيم)(١) . فكمال الإنسان — عنده — مرتبط بإيمانه بربه ، واتخاذه منه — سبحانه — مثلا أعلى له ، وعدم الإيمان بالله سبحانه ، مؤد به ، إلى (الهبوط)، وذلك لأن الكفار — على حد تعبير عبد الله يوسف على — « يتناقضون — بكفرهم — مع فطرتهم ، التى فطرهم الله عليها »(٢) — فطرة (الصعود)، والتعلق بذات الله، بوصف الإنسان، قد خلق ليكون خليفة لله فى الأرض .

الأخلاق الربانية :

إذا كانت الربانية هى الإنسانية ، فى أسمى صورها ، فإن ذلك يعود ، إلى أن « الإسلام ، ليس مجرد تقاليد روحية للعالم الإسلامى ، ولكنه بالدرجة الأولى، إطار أيديولوجى متكامل، يشمل الحياة وما بعدها . ذلك أنه كأثر من آثار طاعة الله ، نجده يتضمن القوانين الطبيعية ، التى خلقها الله أيضا ، بالإضافة إلى تلك المثاليات الدينية ، الموحى بها فى الديانات السابقة »(٣).

ومن ثم فإننا نجد، أن « هذا الدين ، يبحث العلاقة بين الله والإنسان، وبين

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الثانى — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م ، ص ٥٧٣ .

(2) ALI, ABDULLAH YUSUF: The Holy Quran, Text, Translation and Commentary, Volume One, Hafner Publishing Company, New-York, U.S.A., 1946, p 671.

(3) MODAWI, ALI KHALID: A Theoretical Basis for Islamic Education, Thesis Submitted to the University of Wales, in Candidature for the Degree of Philosophiae Doctor, April 1977, p. 300.

الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان وجميع الكائنات، على وجه البسيطة »(١).

بل إنه لا يكتفى بتحديد هذه العلاقات (الفيزيقية) للإنسان ، وإنما هو يتعداها ، إلى تحديد علاقات الإنسان (الميتافيزيقية) ، حيث لا نستطيع فيه ، « الفصل بين أمور الدين وأمور الدنيا، لأن الدنيا والآخرة ، فى نظر الإسلام ، مرحلتان من مراحل الحياة المتصلة ، التى لا تنقطع ، أولاهما مرحلة السعى والعمل ، وثانيتهما مرحلة النتائج »(٢) — على نحو ما رأينا فى كتابنا الخامس ، عن (اليوم الآخر والحياة المعاصرة) ، حيث « يلفت نظر قارئ القرآن الكريم ، بشكل واضح ، أن حديثه عن حياة الإنسان الآخرة ، لم يرد مطلقا ، منفصلا عن حديثه عن حياة الإنسان الدنيا ، وإنما هو يرد — دوما — تذكرة بالمستقبل ، حيث الجنة أو النار ، فى دار الخلد ، التى لا مستقبل للإنسان إلا فيها ، حتى يظل الإنسان على وعى دائم ، برسالته ، التى من أجلها خلق فى هذه الحياة الدنيا ، فيظل — دوما — على مستوى المسئولية ، وأهلا لذلك التكريم ، الذى كرمه به ربه ، يوم خلقه واستخلفه »(٣) .

وفى ضوء هذه النظرة الإسلامية المتكاملة ، إلى (قضية الإنسان) ، تتحدد تلك الأخلاق الربانية .. الإنسانية ، حيث « تقوم الرسالة الخالدة ، على دعامتين ،

---

(١) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الاسلامية — نقله الى العربية أحمد ادريس — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١١٠ .

ينهض عليهما بناؤها ، وتتفرع منهما فروعها ، ويصدر عنهما معتنقها ، هما :

الإيمان والإحسان »(١) .

والإيمان بالله فى حد ذاته ، مؤد إلى هذا الإحسان ، لأن المؤمن بالله ، لابد أن يدرك رسالته، فى هذه الحياة الدنيا، التى يحياها ، فنحن « ليس عندنا أخلاق ودين .. عندنا دين فقط »(٢) ، كما أنه « ليس ينبغى أن نعتقد أيضا ، أن الأخلاق القرآنية ، أخلاق دينية، بمعنى أن رقابتها توجد فقط فى السماء ، وأن جزاءها فيما وراء الموت » ، « وهى أيضا ليست دينية، بمعنى أنها لاتجد دافعا إليها فى الخوف والرجاء ، ولا تجد تسويغها ، إلا فى إرادة عليا ، تملى على وجه الاستعلاء ، أوامرها ، مستقلة عن كل ما يقتضيه العقل ، والشعور الإنسانى ، وهى إرادة، يجب على الإنسان أن يطيعها ، دون مناقشة أو فهم »(٣).

---

(١) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة (بحث فى رسالة الله الواحدة الخالدة على مدى الزمان ، واقتباس من هداها ، فى الاجتماع والسياسة والحرب والسلم والعلاقات الدولية ، لازالة أسباب الاضطراب العالمى ، وامداد الحضارة بسند روحى ، واقامة نظام عالمى جديد) — الطبعة الأولى — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م ، ص ٤ .

(٢) د. مصطفى كمال وصفى : « الفكرة الأخلاقية ، بين القانون والشريعة الاسلامية » — **المسلم المعاصر** — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد العاشر — ابريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ ، ص ١٣١ .

(٣) دكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن — تعريب وتحقيق وتعليق : دكتور عبد الصبور شاهين — مراجعة دكتور السيد محمد بدوى — مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية — ١٩٧٤ ، ص ٦٧٦ ، ٦٧٧ .

فالإحسان — فى الإسلام — مستمد من هذا الإيمان بالله سبحانه، فإن « فكرة وجود الله، ذى الجلال، فى كل مكان، تلك الفكرة التى تملأ نفوسنا اهتماما بالأخلاق، وبالصرامة نحو أنفسنا — هذه الفكرة، يخففها بدورها، فكرة الرحمة، التى تمد يدها دائما إلينا، لامن أجل أن تتلقى أولئك الذين يرجعون من غفلتهم، ويحاولون أن ينهضوا من كبوتهم فحسب، ولكن من أجل أن تساعدهم، وتمدهم بقوة، يتراحب مداها دائما »(١).

والإيمان بالله، يؤدى — بطبيعته — إلى تقوى الله، أى مراقبته فى السر والعلن، أو « خشيته وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه »(٢)، ومن ثم يكون منطقيا، أن ينبع الإحسان فى الإسلام من الإيمان بالله، وأن ينبع أيضا من «التقوى »(٣)، « فالكرم متصل بها »، « والشجاعة متصلة بها »، « والعدل مرتبط بها »، « والعفة مرتبطة بها »، « وللصدق صلة بها »، « والوفاء بالعهد شعبة منها »، « والرحمة غصن من دوحتها »، « والعفو جزء منها »، « والصبر جانب من جوانبها »، « والأمانة فرع من التقوى »، «وقوة العزيمة ومضاء الإرادة، مظهر من مظاهر التقوى »(٤).

وليس ذلك بالأمر الغريب، فإن إيمان المسلم بربه، يجعله يتخذ من الله سبحانه، مثله الأعلى، واتخاذ الإنسان (مثلا أعلى)، شرط ضرورى من

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٨٠ .

(٢) المعجم الوسيط — الجزء الثانى (مرجع سابق)، ص ١٠٦٤ .

(٣) الدكتور احمد محمد الحوفى : من اخلاق النبى — الكتاب الاربعون من (لجنة التعريف بالاسلام) — يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م، ص ٣٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ٣٧ — ٤٢ .

شروط إنقاذ الإنسان ، من تلك (الأنانية) القاتلة ، التى تهدد — اليوم — الإنسان، وأمنه ، وطمأنينته ، وحضارته ، كما تهدد حاضره ومستقبله ؛ بعد أن صيغت كل مقومات هذه الحياة الحديثة ، فى إطار هذه (الأنانية) ، نتيجة للافتقار إلى الإيمان ، فى ظل الحضارة المادية الحديثة .

ولذلك لم يكن غريبا، أن نرى الصوت الغربى العاقل الحديث ، يدعو إلى الإيمان بالله ، كبديل للأنانية، التى أدى إليها فقد هذا الإيمان، فى الغرب اليوم.

وفى ظل (الأنانية) ، صيغت خطوط الحياة الغربية — المادية — صياغة، أدت إلى القلق والهم، والعدوان على الغير وعلى النفس، وفى ضوء (الإيمان)، لا بد أن تصاغ خيوط هذه الحياة، صياغة جديدة، تذهب بالقلق والهم والعدوان، وتحل محلها ،أمنا وطمأنينة وسلاما، مع النفس ومع الغير — فى رأى الفيلسوف الأمريكى المعاصر ، فيليب هـ . فينكس ، على سبيل المثال(١) .

---

(١) هناك كتابات غربية حديثة كثيرة ، نخص منها هنا — على سبيل المثال — لا الحصر :

— فيليب هـ. فينكس : التربية والصالح العام (مرجع سابق) .

وفى هذا المؤلف القيم ، نرى فينكس يتابع مشكلة (الأنانية) ، التى نتجت عن هذه المادية ، وآثارها فى مجالات الجنس والأسرة والحكم والسياسة والاقتصاد وغيرها . والحل عنده هو (الايمان بالله) ، خلقا (للمثل الأعلى) أمام الانسان ، حتى يتحرر من هذه (الأنانية) القاتلة ، فيتحرر من الهم والقلق ، بعد أن (تصاغ) حياته كلها من جديد — فرديا واجتماعيا — فى ضوء هذا (المثل الأعلى) .

ومن ثم قصدنا الا نشير الى صفحة معينة فى الكتاب ، لأن الكتاب كله — على ضخامته — يدور حول هذا المحور ، متخذا منه منطلقا للخوض فى مختلف القضايا ، الفردية والاجتماعية .

وهذا هو معنى الأخلاق (الربانية) : أنها هى الأخلاق (الإنسانية) ، فى أسمى صورها ، لأنها أخلاق تتجاوز إطار (الذاتية) ، أو (الأنانية) المحضة ، التى تدمر أجمل ما فى الإنسان، إلى الأفق الأرحب ، الذى يتجاوز به الإنسان ، حدود ذاته المحدودة ، إلى أفق الكون كله ، بما فيه من رحابة ، ومن ثم تسمو النفس ، فإن «سمو النفس عن الصغائر ، يرجع إلى عظمتها ، وكبر قدرها ، وترفعها عن اللغو التافه ، يرجع إلى علو همتها ، وسمو شأنها »(١) .

ومن هنا ، كانت درجة (الثبات) فى الأخلاق الإسلامية ، حيث « ينطلق مفهوم الأخلاق فى الإسلام ، من قيم ثابتة أساسية ، ترتبط بالإنسان أساسا ، وهى قيم لا تتغير فى أصولها ، لأنها ترتبط بالنفس الإنسانية ، التى تنطلق من معتقدها ، فى الإيمان بالله ، إلى التقوى والإيمان والعمل ، فالأخلاق هى طابع السلوك كله ، ومجموع التصرفات فى مختلف المجالات ، تقوم على العطاء والعفو السماحة والرحمة ، فلا تختلف من جيل إلى جيل ، أو من عصر إلى عصر ، أو من بيئة إلى بيئة ، وإنما تتماثل ، لأنها ترتبط بالنفس الإنسانية ، فى علاقتها بالله »(٢) .

ولما كانت «الأخلاق فى الإسلام ، لا تنفصل عن العقيدة » ، «فالأخلاق قاسم مشترك ، على المجتمع والقانون والاقتصاد والاجتماع »(٣) . ولما كانت

---

(١) محمد عبد الله السمان : التربية فى القرآن — رقم (١) من سلسلة (رسائل الفكرة الاسلامية) — الطبعة الخامسة — دار الاعتصام — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٤٧ .

(٢) أنور الجندى : التفسير الاسلامى للفكر البشرى : الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة ، فى ضوء الاسلام — دار الاعتصام — ١٩٧٨ ، ص ١٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

المجتمعات دائمة التغير ، فإن الأخلاق الإسلامية ــ كالقانون الإسلامى ــ على نحو ما سنرى ــ تجمع (المرونة) ، إلى جانب (الثبات) ، فالإسلام يجمع « بين الثبات ، الذى يمنحه الاستقرار ، فلا يتزحزح عن مبادئه ، ولا يتحول عن أصوله ، وبين المرونة ، التى يواجه بها سير الزمن ، وسنة التطور »(١) .

فهو (يجمد) فيما يتصل بالعقيدة ، أو بالمثل الأعلى ، الذى يجب أن يسير المسلم على هداه ، وهو (يتطور) فيما عدا ذلك ، « فعنصر الثبات يتجلى هنا ، فى رفض المجتمع المسلم ، للعقائد والمبادئ والأفكار والقيم والشعارات ، التى تقوم عليها المجتمعات الأخرى ، غير المسلمة ، وتميزها » ، « ومع هذا ، لا ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ، بل يستطيع أن يقتبس منها ، وينتفع بما لديها ، من معارف وخبرات ومهارات ، لا تضر بكيانه المادى والمعنوى » . « فهو يجمد فى بعض الأمور كالصخر ، ويلين فى بعض الأمور ، كالعجين »(٢) .

القـــانون الربانى :

والقانون الربانى ، لا يعدو أن يكون (ترجمة) للإطار الربانى للحياة ، وللأخلاق الربانية ، شأنه فى ذلك شأن القوانين الأخرى .. الوضعية ، فالإسلام « دين ، ينتظم الوجود الإنسانى كله ، ويضع الأسس الأخلاقية والاجتماعية ، لأرقى حضارة فى الوجود ، حضارة تتسق فيها الروح والمادة

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للاسلام ــ الطبعة الاولى ــ مكتبة وهبة ــ رمضان ١٣٩٧ هـ ــ اغسطس ١٩٧٧ م ، ص٢٣٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

وتتوازن فيها النزعات الفردية والجماعية ، وتحقق للإنسانية ، متعة الحياة ، ونعيم الآخرة ، ويقوم عليه مجتمع كامل ، يستهدى قانونه من شريعته ، ويسوس دنياه ، على قواعد دينه »(١) .

ومن ثم كان القانون الربانى ، الذى نراه فى الإسلام ، قانونا يجمع بين الثبات والمرونة أيضا ، وكان إعجازه — فى هذا المجال — أنه وضع منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، « فى بيئة ، يتركها للفوضى والاختلال ، إن لم يأخذها بنظام واف ، من نظم الحكم والتشريع ، وقد أخذها بهذا النظام ، وأودعه من دواعى التوفيق ، ما يلائم الزمن بعد الزمن ، والبيئة بعد البيئة ، ولا يضيق فيه باب الاجتهاد ، كلما وجب الرجوع إليه ، فى حال غير الأحوال التى نشأت فيها الدعوة الإسلامية . وجاء القرن العشرون ، ولم تفارقه مرونته ، التى تصلح للحياة العصرية ، ولا تستعصى مع الزمن ، على التجديد »(٢) . فهو « واقعى عملى تطورى » ، وفيه « ثروة عظيمة ، وتفكير عميق ، يفوق فى ثروته ، أى تشريع آخر ، عرفته البشرية »(٣) .

وقيمة القانون الربانى — الإسلامى — أنه قانون غير مفروض ، لأنه

---

(١) الدكتور حسين فوزى النجار : الاسلام والسياسة ، بحث فى أصول النظرية السياسية ونظام الحكم فى الاسلام — مطبوعات الشعب — ١٩٧٧ ، ص ٧٤ .

(٢) عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور عطار : الشيوعية والاسلام — الطبعة الثانية — مطابع دار الأندلس ، للطباعة والنشر — بيروت — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ١٨١ .

(٣) محمد فاضل الجمالى : دعوة الى الاسلام (رسائل من والد فى السجن الى ولده) — الطبعة الأولى — منشورات دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٦٣ ، ص ١١٤ .

ليس من وضع البشر ، وإنما هو من وضع الخالق سبحانه ، وهو بما خلق أعلم ، ثم إنه يجسم المثل الأعلى ، الذى يسير عليه الناس جميعا ، ولا يعبر عن أشخاص بأعينهم، «والشعب لايحترم القوانين، التى وضعها الأشخاص، بأكثر مما يحترم الأشخاص الذين وضعوها . كما أن القوانين التى تعبر عن إرادة الأشخاص،سوف تتحطم بلا هوادة ولا رحمة ،على أيدى أشخاص آخرين ، تتعارض مصالحهم — فى معركة صراع المصالح — مع مصالح واضعى القوانين »(١) .

ومن ثم تكون قابلية هذا القانون للتطبيق ،كبيرة ، لأن (الضمير) الفردى، يسعى إلى تطبيقها ، ولا يقتصر هذا التطبيق ، على السلطة الحاكمة ، الساهرة على تطبيق القوانين ، وحدها .

ومعروف أن « أى إصلاح سياسى — مجتمعى » ، « لن ينجح»،« ولن يكون فعالا ، إلا إذا انبثق من أعماق الذات ، وكأنه أمر باطنى ، يتحدى كل عائق ، وكل ضغط خارجى »(٢).

والتشريع الإسلامى ، كالأخلاق الإسلامية ، يقوم على « تقوى من الله » ، تدفع المسلم « إلى مراقبته وخشيته، وقيامه بالعمل،طواعية واختياراً، لا يشعر إلا برقابة الله ، ولا يبالى إلا بأمر الله ، ومن هنا لا يشعر المسلم بغضاضة ، من تنفيذ القانون »(٣) ، « بعكس الحال فى القوانين الوضعية ،

---

(١) فيليب هـ. فينكس : التربية والصالح العام (مرجع سابق) ، ص ٢٦٣ .

(٢) الدكتور محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية — من (مكتبة الدراسات الفلسفية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٩ ، ص ٣٤ .

(٣) الدكتور عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الاسلام — مؤسسة الرسالة ومكتبة الأقصى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ٥٥،٥٦ .

فإنهـــا ليس فى نفوس من تطبق عليهم ، ما يحملم على طاعتها ، وهم لا يطيعونها ، إلا بقدر ما يخشون ، من الوقوع تحت طائلتها »(١).

وذلك هو سر نجاح القانون الربانى ، كما نراه فى الإسلام ، « فإن نجاحه لا يرجع إلى قواعد قعدت ، وقوانين أصلت ، فامتثلها قوم ، وعملوا بها فى رغبة ، بل إلى وعى باطن ، أدركت بصائره ما كان خافيا من الحقائق ، فإذا السريرة تتمثله ، وتتضلع به » ، « ولم يكن امتثال الجوارح له فى الظاهر ، إلا تعبيراً متسقاً مع ما فى السريرة ، من حياة وغبطة وإدراك »(٢) .

إن القانون الإسلامى، يتحول إلى (عرف)، من خلال تعبيره عن (الضمير) الإسلامى ، الفردى والاجتماعى ، والعرف فى أى مجتمع ، أقوى من القانون . والعرف يتكون « فى ضمير الجماعة ، بطريقة يكاد الناس لا يشعرون بها ولا يحسون ، شأنه فى هذا شأن اللغة والأخلاق والتقاليد » ، و « هو درج الناس على قاعدة معينة ، واتباعهم إياها، فى شئون حياتهم ، أمداطويلا من الزمن ، حتى ينتهى الأمر ، لكثرة ما اتبعوها ، جيلا بعد جيل ، إلى أن يشعروا بوجوب احترامهم إياها ، رغما عنهم »(٣) .

---

(١) الشهيد عبد القادر عودة : الاسلام ، بين جهــل ابنائه ، وعجز علمــائه ــ المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتــوزيع ــ ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م ، ص ١١ .

(٢) البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى ، بين النظرية والتطبيق ــ مكتبة وهبة ، ص ١٠١ .

(٣) الدكتور عبد الفتاح عبد الباقى : القانون والحياة ــ رقم (٢٨) من (المكتبة الثقافيــة) ــ وزارة الثقــافة والارشاد القــومى ــ الادارة العــامة للثقافة ــ دار القلم بالقاهرة ــ أول يناير ١٩٦١ ، ٢٣ .

ومثل هـذا القانون الربانى ، لا يمكن أن يتعرض للقلاقل والتقلبات ، التى تتعرض لها القوانين الوضعية ، لأنه هو وحده الذى يحقق العدل للناس كافة ، ويوجد الحكم فيه لتحقيق هـــذا العدل ، فالخلافة ليست تسلطا على الناس ،وإنما هى « عهد بين الخليفة ورعيته » ، « ومن حق هذه الرعية، أن تطالبه ، بالوفاء بما أعطى على نفسه من عهد »(١) ، ومن ثم فإن « وظائف الخلافة ، تنحصر فى أمرين عظيمين ، ومقصدين كبيرين :

الأول : حراسة الدين .

الثانى : سياسة الدنيا به » .

« وحراسة الدين ، تعنى حفظه وتنفيذه — حفظه من التحريف والتبديل » ، « وتنفيذه يكون بتطبيق أحكامه ، والعمل بتعاليمه ، وحمل الناس على الوقوف عند حدوده ، وطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه »(٢).

والخليفة — فى هـذا النظام الإلهى — ليس (متميزا) على من استخلفوه ، وإنما هو يقوم فيهم ، بما كان يقوم به الرسول ﷺ ، الذى « لم يشأ إلا أن يكون الرئيس الأكبر ، بسلطان الصديق الأكبر : بسلطان الحب والرضا والاختيار » ، « وكان يدين نفسه ، بما يدين به أصغر أتباعه » ، معما « كان له من سلطان الدنيا» ، و «من سلطان الآخرة » ، و « من سلطان الكفاءة والمهابة »(٣) .

---

(١) طـه حسين : الشيخان ، الصديق أبو بكر ، والفاروق عمر — جمهورية مصر العربية ـ وزارة التربية والتعليم ـ طبعة مدرسية موجزة — ١٩٧٥ ، ص ٤٣ .

(٢) الدكتور رشـدى عليان : الاســلام والخلافة ـ الطبعة الأولى — مطبعة دار السلام ـ بغداد ـ ١٩٧٧ ، ص ٢٠ .

(٣) عباس محمود العقاد : عبقرية محمـد ـ دار الكتب الحديثـة — القـاهرة ـ ١٩٦٦ ، ص ١٠٠ ؛ ١٠١ .

فالخليفة خاضع للقانون الربانى ، خضوع أقل الناس له ، حيث « يمكن مقاضاة أية سلطة ، سياسية أو تنفيذية »(١) ، بل إن منطق هذا القانون السماوى ، هو أن تكون الخلافة « ابتلاء » للطرفين المتعاهدين — الشعب والخليفة ، على حد تعبير الفاروق عمر ، حيث قال فى إحدى خطبه ، فى أول عهده : « إن الله ابتلاكم بى ، وابتلانى بكم »(٢) ، وأن يكون الخليفة - شأنه شأن من تحمل مسئولية فى هذا القانون - أثقل الناس حملا ، على حد تعبير الفاروق ، فى توجيهاته للوالى الذى كان يختاره ، ليتولى للمسلمين أمراً(٣) ، وذلك حتى لا يتصدى للمسئولية فى المجتمع الإسلامى ، إلا من هو أهل لها ، ترشحه لها إرادة الأمة ، فإن « الراعى لا يصل إلى مكانه ، إلا عن طريق واحد : رغبة الرعية المطلقة ، واختيارها الحر . ولا يستبقى بين الرعية مكانه ذاك ، إلا عن طريق واحد : طاعة الله ، والعمل بشريعة الله »(٤) .

والفرق كبير بين هذا النمط ، من أنماط الحكم ، وبين ما يسمى بالحكم الشعبى ، أو الحكم الديموقراطى ، الذى (يفوض) فيه الشعب إنسانا ليحكمه ، فمن الجائز - على حد تعبير فيليب فينكس - « أن يبلغ الحكم الشعبى من الفساد ، ما يبلغه الحكم الأوتوقراطى ، فعندما يتغلب السعى وراء المصالح

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان — ترجمة ظفر الاسلام خان — مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين — الطبعة الخامسة — المختار الاسلامى — ١٩٧٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) عباس محمود العقاد : عبقرية عمر — الجمهورية العربية المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٩٦٨ ، ص ١٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام — الطبعة السادسة — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ١٢٢ .

الشخصية على المجتمع ، يصبح حكم الشعب ، طغيانا على الجماهير ، يمارسه أشخاص ، يتولون سلطتهم باسم الشعب »(١) . ومثل هذا الحكم ـ فى نظره ـ على النقيض من الحكم الذى يكون (المثل الأعلى) هو هدفه ، والذى نرى فيه الحاكم ، « ينوب » « عن الشعب ، فى السعى وراء الخير المدنى ، فهو ليس بالسياسى ، الذى لا هم له إلا اكتساب السلطة السياسية ، والاحتفاظ بها ، بل هو رجل دولة ، ينصب اهتمامه ، على توجيه الشئون العامة ، توجيها صحيحاً . إنه (رجل معبر) ، بمعنى أنه يجسد فى شخصه ، بعضاً من المثل العليا ، التى ينزع الجنس البشرى إليها . وهو ليس رمزا للرجل العادى ـ للصفات المتواضعة الشائعة ـ بل رمز لما يطمح الرجل العادى ، أن يكونه ، وهو فى أفضل حالاته .

وفى الديمقراطية المثالية ، يعتبر رجل الدولة ، قائدا للشعب ، وليس تابعا ذليلا له ، فليس من واجبه أن يأتى لهم بما يرغبون فيه ، وإنما واجبه ، هو أن يعاونهم ، على أن يفعلوا ما هو الصواب »(٢) ، على النحو الذى رأيناه ، فيما سبق عن عمر ، وعلى لسانه .

وفى مثل هذا المجتمع — فى نظره — نجد « القوانين . لا ينظر إليها ، على أنها تقييد للحياة ، بل على أنها وسيلة ، لتنمية الحياة الطيبة ، من أجل الجميع »(٣) .

---

(١) فيليب هـ. فينكس : التربية والصالح العام (مرجع سابق) ، ص ٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

الجزء والكل فى المجتمع الربانى :

فى أكثر من كتاب من كتب السلسلة السابقة ، خاصة الكتاب الرابع عن (الإنسان) ، والخامس عن (اليوم الآخر) ، والسابع عن (قضية الحرية) ، وكتابنا الثامن عن (الأسرة) — رأينا أن (الفردية) ، هى الأساس الأول ، الذى تقوم عليه نظرة الإسلام ، إلى الإنسان .

إلا أن البون شاسع بين هذه النظرة الفردية إلى الإنسان فى الإسلام ، وبين نظرة الغرب — الليبرالى — إليه ، فهى فردية (تحطم) الكيان الاجتماعى فى الغرب الليبرالى ، ولكنها فردية (تدعم) هذا الكيان ، فى الإسلام ، فإن « الإسلام يؤمن بالفرد ، ولكنه لا يؤمن بالفردية » ، فإن « علاقة الفرد بالجماعة ، هى نفسها علاقة فرد ، ببقية الأفراد الآخرين معه » .

« والفرد فى الجماعة المسلمة ، طالما لم يمس كيانه ، كوحدة بذاتها ، مستقل فى التصرف ، « يتمتع بإرادة حرة ، وبحرية فى التملك . ولاستقلاله وحياته ، حرمة شخصية ، لا تهدر ولا تزول » .

ولكن « الفرد ، مع الأفراد الآخرين ، أو الفرد مع الجماعة — من وجهة نظر الإسلام — وحدة ، تتفاعل مع غيرها ، وتأخذ وتعطى ، وتتوقف عن التصرف »(١) .

إن فردية الإنسان الربانى ، هى الطريق الوحيد إلى المجتمع الربانى ، فعلى « الأرض المعبدة لله ، وبالبشر المعبد لله ، تكون الأمة ، ويكون المجتمع المسلم .

---

(١) الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم — الطبعة الخامسة — مكتبة وهبة — رجب ١٣٩٧ هـ — يونيه ١٩٧٧ م ، ص ٢٤٥ — ٢٤٧ .

لم يحرر محمد صلى الله عليه وسلم ، عند بعثه ، الأرض ، ثم يدعو الناس إلى التوحيد ، ولم يدع إلى تقسيم المال بالسوية ، ثم يدعو الناس للتوحيد ، لم يدع لإصلاح جزئى . ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم،دعا إلى التوحيد ، فأسلم رجال ،وآمنوا بأنه لامعبود إلا الله » .

« ثم كانت بدر الأولى ، نداء لقيام الأمة ، وتوالى نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، بالتشريعات وبالحدود ، وبالحلال والحرام ، وقامت الأمة فعلا ، وملأت الأرض، عدلا ونوراً وحقاً »(١) .

فالمسئولية فى الإسلام ، ليست مسئولية الكل ضد الجزء ، ولامسئولية الجزء ضد الكل ، وإنما هى مسئولية (مشتركة) ، بين الجزء والكل ، « فالفرد مسئول عن الجماعة ، يعمل ويوجه، وينقد ويصحح ، منفرداً، وضمن فئة ممن يدركون ويستطيعون ، وعليه أن يستنفذ فى ذلك كله،أقصى قدرته » ، « والجماعة مسئولة عن أعضائها وعلمها ، على أن لا تطغى على ذات الفرد ، وتسلبه حريته وحقوقه ، بدعوى حمايته ،أو الوصاية عليه . كما أن الفرد مسئول عن ذاته ، على أن لاينسى الجماعة،فى غمرة حرصه،واستمساكه بحقوقه، ومصالحه القريبة »(٢) .

ومن ثم كانت الحكومة الإسلامية ،كما رأيناها من قبل ، حكومة تحقق هذه المسئولية ،فهى « الحكومة لمصلحة المحكومين ، لا لمصلحة الحاكمين..

---

(١) زينب الغـــزالى : أيام من حيـــاتى ـ دار الشروق ـ ١٩٧٨ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) الدكتور سيد أحمد عثمان : « المسئولية الاجتماعية فى الاسلام ـ دراسة نفسية » ـ **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** ـ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٣ ، ص ٧ .

يطاع الحاكم ما أطاع الله ، فإن لم يطعه ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . « وعلى أبناء الأمة جميعا ، أن يتعاونوا على المصلحة العامة ، وإقامة الفرائض والفضائل . . . » . « فالحاكمون والمحكومون جميعاً ، متعاونون ، فى أمانة الحكم ، وأمانة الإصـــلاح ... كل بما يستطيع ، وكل بما يصلح له ، وما يصلح عليه ، ولا حق فى الطغيان لفرد جبار ، ولا لجماعة كثيرة العدد... بل الحق كله ، للجماعة كلها ، بين التشاور والتعاون ، والتنبيه والإرشاد والاسترشاد »(١) .

ومن ثم « تقوم الديمقراطية الإسلامية » — فى رأى المرحوم عباس العقاد - « على أربعة أسس ، لا تقوم ديمقراطية ، كائنة ما كانت ، على غيرها ، وهى : (١) المسئولية الفردية ، و (٢) عموم الحقوق وتساويها بين الناس ، و (٣) وجوب الشورى على ولاة الأمور ، و (٤) التضامن بين الرعية ، على اختلاف الطوائف والطبقات »(٢) .

وهذه (المسئولية المشتركة) ، بين الفرد والجماعة ، فى الإسلام ، جزء من التصور الإسلامى الأساسى ، لقضية الإنسان ، بوصفه (خليفة) لله فى الأرض ، والاستخلاف يعنى تحمل المسئولية ، لا بالنسبة للمجتمع الذى يعيش فيه الفرد وحده ، ولكن بالنسبة للإنسانية جمعاء ، ومن ثم كانت رحمة المسلم واجبة ، تجاه المسلم وغير المسلم ، وتجاه الدواب والمزروعات أيضا ، وكانت « الدعوة الإسلامية اليوم ، حاجة بشرية عامة ، قبل أن تكون

---

(١) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنيــة — دار الاســـلام بالقاهرة — ١٩٧٣ ، ص ٣٠ — ٣٢ .

(٢) عباس محمود العقاد : الديمقراطية فى الاسلام — دار المعارف — ١٩٧١ ، ص ٤٢ .

حاجة الوطن الإسلامى » . « وسواء كانت البشرية تحس هذه الحقيقة أم لا تحسها ، فإن هذا لا يغير من وضعها شيئا ، فحاجة المريض إلى الطب والعلاج، لا تتوقف على شعور المريض بهذه الحاجة ، بل إنه كثيراً مايرفض تناول الدواء ، وكثيراً ما ينفر من الطبيب ،وكثيراً مايدعى الصحة والقوة ، وهو أشد ما يكون حاجة إلى الطبيب والدواء »(١).

والإنسان الخليفة ،لايستطيع أن يقوم بمهام الاستخلاف، بدون العلم، ومن ثم كان « العلماء هم ورثة الأنبياء »(٢) ، وكان طلبه « (فريضة) إلى الله ، تؤدى كما تؤدى الصلاة والصيام والزكاة »(٣) . فهو « قيمة ضخمة ، وهبة عظيمة ، وسر كبير من أسرار تكوين الإنسان ، فقد خلقه الله سبحانه وكونه ، بحيث يتجاوب بعقله وتفكيره ، مع كل مظاهر الحياة على الأرض ، ومع كل آيات الله فى الكون . وبهذا أصبح أهلا لرسالة الاستخلاف فى الأرض ، يعمرها ،ويرقى بالحياة فيها،على هدى ربه »(٤) .

وعلى ذلك ، فليس المقصود بهذا العلم فى الإسلام ، علم الدين وحده ، وإنما « هو جملة المعارف، التي يدركها الإنسان، بالنظر فى ملكوت السموات

---

(١) سيد قطب : نحو مجتمع اسلامي ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، ص ٥ ـ من المقدمة .

(٢) صحيح البخارى ـ لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى ـ الجزء الأول ـ دار ومطابع الشعب ، ص ٢٦ .

(٣) محمد قطب : قبسات من الرسول ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق ، ص ٤٣ .

(٤) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية ـ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ص ٣٢٦ .

والأرض »(١) ، فالمسلم مفروض عليه « فرضا ،أن يغزو هذا العالم، فيصل إلى أعمق أعماق الأرض والبحار ، ويرتفع فى الأفق ،إلى أبعد ما يصل إليه العلم بوسائله، وآلاته ، ويغزو الفضاء ، فيما بين السماء والأرض »(٢) .

ولا يمنع هذا ، من أن يكون « العلم بالحلال والحرام ،أشرف العلوم، التى رغبت فيها الشريعة ،لاتصاله بتصحيح العبادات والمعاملات، مما يؤدى إلى الاستقامة فى الحياة الدنيا ، والنجاة فى الآخرة ، وهذا ما لانزاع فيه »(٣).

والتاريخ الإسلامى ،شاهد على مدى تمثل هذه النظرة الإسلامية إلى العلم، فى عصور الازدهار الإسلامى، فقد « جمعت العواصم العربية، فى عصورها الذهبية ، بين فقهاء الشريعة ، والباحثين فى المادة ، والمناقشين فى الفلسفة ، وضمتهم جميعاً ، مجالس الحكام ، واتسعت لهم وظائف الدولة ، وتبادلوا الحجج والجدل ، وفى الوقت الذى كان حكام أوربا ،يحرقون من يقول بكروية الأرض ، كان الخليفة المأمون ، يؤجر العلماء ، على قياس محيط الكرة الأرضية »(٤) .

والأخذ بالعلم على هذا النحو الشامل ، شأنه شأن اية مسئولية فى

---

(١) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية — الطبعة الأولى (المؤتمر الاسلامى) — دار القلم ، ص ٨٥ .

(٢) الرسالة القشيرية ، للامام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى — تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمود بن الشريف — دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٩٧٢ ، ص ٨ — من المقدمة ، للمحققين.

(٣) الدكتور مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام — دار ومطابع الشعب — ١٩٦٢ ، ص ١٠٣ .

(٤) الدكتور أبو الفتوح رضوان : « أمجادنا التاريخية ، ومكانتها فى مناهجنا الدراسية » — **الرائد** — عدد ممتاز ، عن مؤتمر المعلمين العرب — الاسكندرية — ١٩٥٦ ، ص ١٣٢ .

الإسلام،مسئولية مشتركة ، بين الفرد والجماعة ، فالفرد يجب عليه أن يسعى للعلم ، امتثالا لقول ربه : « اقرأ باسم ربك الذى خلق .خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم »(١).

والجماعة يجب عليها ، أن توفر لأبنائها فرص العلم ، وتدفعهم إليه ، بشتى السبل .

وعلى هذا الأساس ، قامت « حضارة الإسلام » ، التى « نشأت باسم الله ، ولم تنشأ باسم العلم . ومن أجل ذلك ،كان هدف العلم فى الإسلام، إرضاء الله ، وإسعاد الإنسانية »(٢) .

---

(١) قرآن كريم : العلق ــ ٩٦ : ١ ــ ٥ .

(٢) الرسالة القشيرية (مرجع سابق) ، ص ١١ ــ من التقديم للمحققين .

الفصل الثالث

مجتمع إنسانى

تقـــديم :

رأينا فى الفصل السابق ، أن (الربانية)، ليست بمعزل عن (الإنسانية)، وأن (الربانية)، لا تعدو أن تكون هى (الإنسانية) ، فى أسمى صورها(١)، أو هى الإنسانية ، فى (اتساقها) مع الكون ، ومع النظام الكونى ، أو مع (الفطرة) ، التى فطر الله الناس عليها .

والفطرة التى فطر الله الناس عليها ، هى فطرة (العبودية) لله ، والتسبيح بحمده :

— « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. »(٢) .

ويعلق الشهيد سيد قطب، على هذا التسبيح الكونى لله سبحانه، بقوله ، إنه « تعبير تنبض به كل ذرة فى هذا الكون الكبير ، وتنتفض روحا حية تسبح لله ، فإذا الكون كله حركة وحياة ، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة، شجية رخية ، ترتفع فى جلال ، إلى الخالق الواحد الكبير المتعال » .

« وإن الوجدان ليرتعش ، وهو يستشعر الحياة، تدب فى كل ما حوله،

---

(١) ارجع الى ص ٤٥ ، ٤٦ من الكتاب .

(٢) قرآن كريم : الاسراء — ١٧ : ٤٤ .

مما يراه، ومما لا يراه ، وكلما همت يده أن تلمس شيئا ، وكلما همت رجله أن تطأ شيئاً ، سمعه يسبح لله ، وينبض بالحياة .

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ، يسبح بطريقته ولغته ، (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ، لا تفقهونه، لأنكم محجوبون بصفاقة الطين ، ولأنكم لم تتسمعوا بقلوبكم ، ولم توجهوها إلى أسرار الوجود الخفية ، وإلى النواميس،التي تنجذب إليها كل ذرة،في هذا الكون الكبير ، وتتوجه بها إلى خالق النواميس ، ومدبر هذا الكون الكبير .

وحين تشف الروح وتصفو ، فتتسمع لكل متحرك أو ساكن ، وهو ينبض بالروح ، ويتوجه بالتسبيح ، فإنها تتهيأ الاتصال بالملأ الأعلى ، وتدرك من أسرار الوجود ، ما لا يدركه الغافلون ، الذين تحول صفاقة الطين،بين قلوبهم وبين الحياة الخفية ، السارية فى ضمير هذا الوجود ، النابضة فى كل متحرك وساكن ، وفى كل شيء فى هذا الوجود »(١) .

وقد رأينا ، فى كتابنا الثالث من كتب هذه السلسلة ، « أن (الذرة)، هى أساس هذا الكون ، وأنه من تشكيلاتها المختلفة ، تتشكل الحياة ، ويتشكل الأحياء ، ابتداء من الميكروب . . وانتهاء بهذا الكون، الواسع الفسيح .

وأساس التركيب الذرى للحياة ، هو (الدوران) ، فكل ما فى الحياة يدور ، كما يدور الإليكترون حول نواة الذرة ، وبدون (الدوران) ،

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ـ المجلد الرابع (مرجع سابق) ، ص ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ .

تنجذب الأجزاء إلى بعضها .. وتتوقف الحياة »(١) .

ومن ثم فكل شىء فينا ، ومن فوقنا ومن تحتنا ، وفى داخلنا ، يدور ويتحرك . . وليس جامدا ، كما يتراءى الأمر ، لقصار النظر .

و (اتساق) الإنسان مع الكون، يقضى أن يدور مع الكون .. تسبيحاً لله سبحانه ، لأنه ، إن لم يفعل ، اختل توازنه ، وترنح تحت وطأة الحياة ، كما نرى فى حياة غير المؤمنين .

وهذا التسبيح ، الذى يؤدى إلى اتساق الإنسان مع الكون ، هو الذى يجعل للإنسان قيمة فى الحياة ، لأن الإنسان « بالقياس إلى هذا الكون الهائل ، الذى يعيش فيه — ذرة تائهة ، لا مستقر لها ولا قيمة ، وعمره ، بالقياس إلى المدى الهائل ، من الأزل إلى الأبد ، ومضة برق ، أو غمضة عين ..

ولكن هذا الفرد الفانى ، هذه الذرة التائهة ، هذا اللقى الضائع .. يملك فى لحظة ، أن يتصل بقوة الأزل والأبد ، أن يمتد طولا وعرضا فى ذلك الكون الهائل » ، و « أن يستمد قوته، من تلك القوة الكبرى ، التى لا تنضب ولا تنحسر ولا تضعف . وإنه لقادر إذن ، على مواجهة الحياة والأحداث والأشياء ، بمثل قوتها وأقوى ، فما هو باللقى الضائع ، ولا بالفرد العاجز ، وهو يستند إلى قوة الأزل والأبد ، وإلى ما بينه وبينها من وشائج .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الاسلام والكون — الكتاب الثالث من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — مايو ١٩٧٧ ، ص ٣٤ .

تلك وظيفة العقيدة الدينية ، وذلك أثرها فى النفس والحياة ..

« إن هذه قوة هائلة فى أيدينا ، وقوة عميقة فى كياننا »(١).

والفرد أساس الجماعة ، والفرد المؤمن ، المتصل بالله ، هو نواة الجماعة المؤمنة ، المتصلة بالله ، « والفترات التى يهتدى فيها الفرد ، أو تهتدى فيها الجماعة ، إلى مثل هذه العقيدة ، وتستجيب لها استجابة كاملة ، وتحققها فى واقع الحياة .. هى الفترات التى تحقق فيها البشرية ، ما يبدو كأنه معجزات ، وما يصعب تفسيره ، إلا على ضوء الوحدة، التى تجمع الطاقة ، وتصونها عن التبدد والتمزق ، وتدفع بها كلها، فى اتجاه واحد ، كالتيار الجارف ، كالسيل الجبار »(٢) .

ويظل المجتمع — برغم هـذا التحليق وذلك الإشراق — مجتمعاً إنسانياً ، تماماً كما يظل الفرد — برغم ربانيته — إنسانياً أيضاً .

فلنبدأ بتعريف (الإنسانية) فى المجتمع ، كما بدأنا بتعريف(ربانيته)، فى الفصل الماضى .

معنى الانسانية :

ولا تعريف للإنسانية ، سوى أنها الإنسانية ، فالإنسانية غنية عن كل تعريف ، وأى تعريف لها ، قد يؤدى إلى غموضها ، أكثر مما يؤدى إلى إلقاء الضوء عليها .

وفى كتابنا الرابع من كتب السلسلة ، عن (الإنسان)، رأينا أن الإنسان

---

(١) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٥ — ٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠ .

«مجموعة) من الملكات والمواهب، التي تدرس، منفصلة إحداها عن الأخرى، بغرض الدراسة وحدها، ولكنها – بطبيعتها – متداخلة، ومتكاملة، ومتفاعلة، ليصدر عنها – مجتمعة – ذلك « السلوك الكتلى المعقد، المادى الروحى، والنفسى الاجتماعى »، الذى به « تعرف الشخصية، فى خارج إطارها المادى، وبه تترك (بصمتها)، على ما حولها ومن حولها »(١).

وعندما تسمو العقيدة الدينية بالإنسان، إنما تسمو به كله، بمختلف مواهبه وإمكانياته، ولا تسمو بملكة منها، دون ملكة.

وعندما يهتم الإسلام بالإنسان، إنما يهتم به اهتماما « يشمل الحياة بأسرها: إنه يهتم اهتماما واحدا، بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد وبالمجتمع. إنه لا يهتم فقط، لما فى الطبيعة الإنسانية، من وجود الإمكان إلى السمو، بل يهتم أيضا لما فيها من قيود طبيعية. إنه لا يحملنا على طلب المحال، ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة، مما فينا من استعداد »(٢).

وهنا يأتى دور العبادة فى الإسلام، حيث يختلف مفهومها وإدراكها فيه، « عما هو فى كل دين آخر: إن العبادة فى الإسلام، ليست محصورة فى أعمال الخشوع الخالص، كالصلوات والصيام مثلا، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضا ». « وهكذا، يجب أن تأتى أعمالنا كلها، حتى تلك التى تظهر تافهة، على أنها عبادات ».

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام والانسان المعاصر (مرجع سابق)، ص ١١٢ .

(٢) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق – من سلسلة (صوت الحق) – تصدرها الجماعة الاسلامية، بجامعة القاهرة – دار الجهاد ودار الاعتصام، ص ١١٠ .

و « هناك نتيجة منطقية لهذا الاتجاه، هى فرق آخر، بين الإسلام، وبين سائر النظم الدينية المعروفة . ذلك أن الإسلام — على أنه تعليم — لا يكتفى بأن يأخذ على عاتقه، تحديد الصلات المتعلقة بماوراء الطبيعة، فيما بين الإنسان وخالقه فقط ، ولكنه يعرض أيضا — بمثل هذا التأكيد على الأقل — للصلات الدنيوية ، بين الفرد، وبيئته الاجتماعية » .

و « ما دمنا نعالج كائنات إنسانية حية محدودة ، فإننا لا نستطيع النظر فى فكرة الكمال (المطلق) ، إذ أن كل ما هو مطلق، فإنما يرجع إلى عالم الصفات الإلهية فقط »(١).

ويرى وحيد الدين خان ، أنه نتيجة لهذه النظرة الإنسانية الإسلامية، إلى الإنسان ، فإن « المسلمين ، خلال مائتى سنة فقط من الهجرة النبوية ، كانوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت حاضرتهم — بغداد — عاصمة العالم الحضارية ، بدلا من اصطخر الإيرانية ، ورمسيس المصرية ، وروما الأوربية »(٢).

كما يرى أن المسلمين كانوا ، « فيما يتعلق بالحضارة والثقافة » ، « يسبقون فيهما العالم كله . لقد أنشأ العرب أسواقا حديثة فى الأندلس ، وأناروا الشوارع ، وأثرياؤهم كانوا يبردون بيوتهم بأنابيب المياه والنافورات ، بينما كان الناس فى طرق أوربا ، يتخبطون فى الوحل نهاراً ، والظلام ليلا . لقد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣ — ٢٥ .

(٢) وحيد الدين خان : المسلمون ، بين الماضى والحاضر والمستقبل — ترجمة ظفر الاسلام خان — مراجعة د. عبد الحليم عويس — الطبعة العربية الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٨ ، ص ٧ .

كانت البلاد الإسلامية،مليئة بالمستشفيات والمكتبات العامة والمدارس ،التى تدرس كل شىء ، من علوم الدين والرياضيات والطب والفلسفة »(١).

ولم يقف نبوغ المسلمين — فى نظره — نتيجة لهذه النظرة الإنسانية الإسلامية إلى الإنسان — عند حد العلوم الإسلامية الدينية ، والعلوم الطبيعية،وإنما تعدتها،إلى العلوم الدينية المسيحية أيضا،فقد « كان المسيحيون، فى عصر من العصور ، يدرسون علم الكلام المسيحى ، على يد مسلمين.كان كمال الدين بن يونس فى الموصل ، وعز الدين الأربلى فى دمشق ، على سبيل المثال ، من كبار علماء المسيحية،فى القرن السابع الهجرى ، وكان المسيحيون يتتلمذون عليهم ، لدراسة علوم ديانتهم ، فقد كانا يدرسان علوم التوراة والإنجيل ، بطريقة أفضل ، من العلماء المسيحيين ،المعاصرين لهما »(٢).

وهو أمر لانستغربه : فإن المستشرقين المعاصرين ، يدرسون الإسلام اليوم ، بطريقة أفضل بكثير ، من تلك الطريقة ، التى يدرس بها علماء الإسلام ، التقليديون ، الإسلام — هذا رغم سعيهم المستمر ، للكيد للإسلام .

فالقضية بالدرجة الأولى ، قضية (تفوق) عقلى ، نتج عن النظرة الجديدة — المتكاملة — إلى الإنسان ، كما أتى بها الإسلام ، فإن « المقياس الذى يقاس به أى نظام اجتماعى ، من حيث رقيه ، أو انحطاطه ، هو نظرته إلى الفرد» ، على حد تعبير الدكتور فاضل الجمالى ، و «الدين الإسلامى يكرم الفرد ، ويعتبره خليفة فى الأرض ، فيما إذا عرف الإنسان واجبه ، فقام بأدائه، على الوجه المطلوب »(٣) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٣) محمد فاضل الجمالى : دعوة الى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٢٠ .

ويتم الشهيد سيد قطب الصورة ، بقوله : إنه « حين تكون (إنسانية) الإنسان ، هى القيمة العليا فى مجتمع ، وتكون الخصائص الإنسانية فيه ، هى موضع التكريم والاعتبار ، يكون هذا المجتمع متحضراً .. فأما حين تكون (المادة) — فى أية صورة — هى القيمة العليا — سواء فى صورة (النظرية) » ، « أو فى صور (الإنتاج المادى) » ، « فإن هذا المجتمع، يكون مجتمعا متخلفاً .. أو بالمصطلح الإسلامى ، مجتمعا جاهلياً »(١) .

كما يرى المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، أن أول تكريم للإنسان - فى الإسلام — أن الله جعله — فيه — خليفة له فى الأرض ، وزوده (بالعقل) ، الذى يستطيع أن يقوم — به — بمهام الاستخلاف ، ويسخر الكون — به — فى خدمته ، « فأول تكريم للإنسان ، كان بإعطائه تلك القوة المسخرة للكون ، وهو الذى تقتله بعوضة ، من بعوض هذا الكون » .

وقد « لاحظ الإسلام هذه الكرامة الإنسانية ، وأن الإنسان يستحقها ، بمقتضى كونه إنسانا ، لا للونه ولا لجنسه ولا لدينه ، ولا لكونه شريفاً ، أو ذا حسب أو جاه ، بل هى الإنسانية ذاتها »(٢) .

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك كله ، أنه من أمارات هذا التكريم أيضاً ، أنه ربط الإنسان به ، ربطاً محكما ، من خلال رسله ورسالاته ، « عندما يفلح الشيطان ، فى قطع علاقة الإنسان بربه » ، فيفلح — بالتالى — « فى (مسخ) الإنسان

---

(١) سيد قطب : معالم فى الطريق — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) الامام محمد ابو زهرة : تنظيم الاسلام للمجتمع — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ ، ص ٢٦ .

مسخا »(١) ، وأن يكون كل رسول من هؤلاء الرسل ، إنساناً ، « قد يكون غنياً ، وقد يكون فقيراً ، وقد يكون نجاراً أو حداداً أو جامع حطب ، وقد يكون مرموقاً فى قومه،وقد يكون مغموراً»(٢) — ومن خلال هذا الربط ، تتحقق ربانية الإنسان ـ والمجتمع ، كما تتحقق إنسانية الإنسان ـ والمجتمع ، وذلك بوضع (القوانين) الربانية -- والإنسانية — للمجتمع البشرى .

وهنا يتفرد الإسلام بنظامه الخاص ، الذى يتميز به ، « عن كل من الديمقراطية والثيوقراطية ، فعلى حين تنطلق الديمقراطية،من مبدأ أن الأمة مصدر السلطات » ، « تنطلق الثيوقراطية ، من مبدأ أن الحاكم ظل الله فى الأرض ، وخليفته على خلقه » .

« أما فى الإسلام ، فالحكم أو السيادة أو الحاكمية » ، « أصلا ، لله ، وأن الناس مستخلفون عن الله،فى عمارة الكون ، وإقامة شريعة الله ، وأن عليهم ، تنظيما لأمورهم ، أن يتخذوا من بينهم أميراً ، أو خليفة عليهم »(٣).

وهذا القانون الإلهى أو السماوى ، الذى أتت به رسالات السماء ، وتلخصت كلها،وارتقت إلى قمة إنسانية عليا،فى الإسلام ـ تكريم للإنسان ،

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : انبياء الله والحياة المعاصرة — الكتاب السادس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٣) الدكتور جمال الدين عطية : « كلمة التحرير » — **المسلم المعاصر** — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد العاشر — ابريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ ، ص ٥ ، ٦ .

لأنه « ليس للحاكم عليه من سلطان ، إلا فى حدود القانون ، القانون الإلهى ، الذى يخضع له ، كما يخضع السلطان سواء ، والذى لا يستمد من هوى الحاكم ، ولا هوى طبقة ولا أمة ، ولا يسن ليحقق مصلحة لحاكم أو لطبقة، أو أمة . إنما شرعه الله ، إله الجميع ، ومالك الجميع ، لمصلحة الجميع »(١) .

ومن ثم تتحدد المثل العليا ، أمام الإنسان المسلم ، فى أربعة ، هى :

« تكوين مجتمع ، يطبق الشريعة الإسلامية ، والإيمان بإله واحد ، وحث المسلم على العمل للدنيا ، كأنه يعيش أبداً ، والعمل للآخرة ، كأنه يموت غداً ، وتربية النفس ، على السمو الروحى والأخلاقى »(٢) .

الملكات الانسانيــة :

رأينا — فيما سبق — أن أوضح ما يميز الإسلام ، هو شموله ، بحيث يتسع لكل الملكات والمواهب الإنسانية ، وبحيث لا يضحى « من الإنسان بجانب ، من أجل جانب ، فهو مخلوق للدنيا والآخرة معا ، للجسد وللروح معا »(٣) . « وهكذا يقيم الإسلام قاعدة التوازن ، بين مختلف القوى فى الإنسان » . « وهو كذلك يوازن بينه كفرد ، وبينه كعضو فى المجتمع »(٤).

---

(١) سيد قطب : السـلام العـالمى والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) ايدجار فور وآخـرون : تعلم لتـكون — ترجمـة د. حنفى بن عيسى — الطبعـة الثانيـة — اليونسـكو — الشركة الوطنيـة للنشر والتوزيع — الجزائر — ١٩٧٦ ، ص ٤٩ — من الهامش .

(٣) دكتور زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر ، الطبعة الأولى — دار الشروق — يناير ١٩٧٦ ، ص ٢١٩ .

(٤) أنور الجندى : المؤامرة على الاسلام — من سلسلة (معالم تاريخ الاسلام) — دار الاعتصام — ١٩٧٧ ، ص ٤٠ ، ٤١ .

وتأتى عالمية الإسلام وربانيته وإنسانيته جميعاً ، من هـذا الشمول فيه ، كما تأتى — مع هـذا الشمول — من مراعاته لمواهب الإنسان وملكاته وإمكانياته وغرائزه ، وبعده عن المثالية ، بقدر اقترابه من الواقعية ، «فكل نظام عالمى ، لا يرضى الغرائز البشرية ، ولا يعين على توجيه الدوافع الإنسانيـة ، هو نظام تقضى عليه الغرائز نفسها ، أو تتخذه وسيلة لإشباع شهواتها ، فمن شأن الطبيعـة الإنسانيـة ، أن تقلب كل نظام مثالى ، وأن تكيفه ، وإلا أصبح بالنسبة لها ، نظاماً لا تطيقه» .

«فقد سفكت باسم المسيحية ، وفى سبيل المسيحية ، التى تحرم الحرب ، دماء أغزر ، مما سفك فى سبيل أية دعوة أخرى فى تاريخ البشرية ،، «فماذا بقى من وصايا المسيح الجميلة الرحيمة المتواضعة ؟ »(١) .

ومجموع الملكات والمواهب الإنسانيـة ، كما رأيناها فى كتابنا الرابع عن (الإنسان) ، هى الجسد والعقل والروح ، والضغوط الاجتماعية(٢) .

أى أن الجسد ، **هو ملكة الانسان الأولى .**

وإنكار هذا الجسد ، والتغاضى عن متطلباته ، لا يؤدى إلى إهماله ، بقدر ما يؤدى إلى المغالاة فى الاهتمام به .

وتاريخ المسيحية ، خير شاهد على ما نقول .

---

(١) عبد الرحمن عزام : الرسـالة الخـالدة (مرجـع سابق) ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٧ وما بعدها .

فالمسيحية، تقوم على أساس أن الجسد الإنسانى، بما ركب فيه من غرائز وشهوات، هو سر بلاء الإنسان، ومن ثم قامت مثاليتها، على أساس إعلان الحرب عليه، إعلاء لشأن الروح :

— « اسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد، لأن الجسد يشتهى ضد الروح، والروح ضد الجسد »(١).

— « حينئذ قال يسوع لتلاميذه : إن أراد أحد أن يأتى ورائى، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه، ويتبعنى. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها »(٢).

— « أيها الزناة والزوانى. أما تعلمون أن محبة العالم، عداوة الله ؟ فمن أراد أن يكون محبا للعالم، فقد صار عدواً لله »(٣).

ومن ثم قامت فلسفة الكنيسة، على أساس « إماتة الشهوات، وإهمال الجسم، حتى تنتقى الروح، وتنجو من عذاب جهنم »(٤).

ورغم ذلك، فتاريخ المسيحية، القديم والحديث، يدل على أن

---

(١) العهد الجديد : رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية — ٩ : الاصحاح الخامس : ١٦ ، ١٧ .

(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس عشر : ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) العهد الجديد : رسالة يعقوب — ٢٠ : الاصحاح الرابع : ٤ .

(٤) صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد : التربية وطرق التدريس — الجزء الأول — الطبعة الخامسة — دار المعارف بمصر — ١٩٥٦ ، ص ٣٤ .

المسيحيين، عندما عجزوا عن الوصول إلى هذا (المثل الأعلى) .. قد «عاشوا بلا سند، يربطهم بالحياة البشرية على الأرض، مكتفين بالتحليق في آفاق خيالية، لا يستطيع التحليق فيها، إلا الملائكة.

ولكنهم بشر.

وبشريتهم، لم يستطيعوا أن يرتقوا إلى مستواها، فهبطوا وهبطوا»، «وصاروا في انطلاقهم، أكثر تعلقاً بالدنيا، من اليهود»(١).

ولم يقف هذا الانغماس في المادة، عند حد (الشعب) المسيحي، بل لقد تعداه إلى الكنيسة الكاثوليكية ورعاتها، «فقد أصبحت الكنيسة، أكبر ملاك الأراضي، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا»، و«أضحت الكنيسة، جزءاً لا يتجزأ، من النظام الإقطاعي، وجعلت من نفسها منظمة سياسية واقتصادية وحربية، لا منظمة دينية وكفى، وكانت أملاكها (الزمنية)، أي المادية، وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية، مما يجلل بالعار، كل مسيحي، مستمسك بدينه»(٢).

أما البابوات أنفسهم، فقد «انصرفوا إلى الشئون الدنيوية، وتحايلوا على اصطياد المال، بكل طريق غير مشروع»، «ولذا تأثرت الكنيسة بأسرها، من مساوىء راعيها الأكبر، حتى أن الأديرة، التي نشأت فيما مضى، لقمع الشهوات الدنيوية، ونشر الهدى والإصلاح، قد تحولت إلى بؤرات للفساد والجهل، بل إن هذا الفساد، تطرق إلى تعاليم الكنيسة نفسها، فبدلاً من أن يكون الغفران نتيجة التوبة والاعتراف، أصبح يباع كالسلعة، بقدر

---

(١) دكتور عبد الغني عبود: الاسلام والكون (مرجع سابق)، ص٨٤.

(٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور الوسطى، دراسة تاريخية مقارنة — دراسات في التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢، ص ٣٩، ٤٠.

من المـال ، وبعد أن كانت التماثيل ، تعتبر رمزاً للحقائق ، غدت تشترى ، لالتماس المنفعة ، وقضاء الحاجة »(١) .

ولست أدرى، ما إذا كانت (مثالية) الكنيسة هى الأفضل ، أم انغماسها فى (الواقع) المادى للإنسان ، لتهذيبه ، والنهوض به ، كما فعل الإسلام ؟

ولقد بلغت عناية الإسلام بالجسد الإنسانى،حداً لا يوصف . فالجسد الإنسانى ، (وديعة) لدى الإنسان المسلم ، عليه أن يعتنى بطعامه وشرابه ونظافته ورعايته...(وديعة) لدى المجتمع المسلم ، عليه أن يحميه من الذل والإهانة والتهديد .. حتى ولو كان غير مسلم ، على نحو ما سنرى فيما بعد .

وهذا الجسد مكرم ، حتى وصاحبه ميت ، فالقيام فى أثناء مرور الجنازة ، مأثور عن النبى ﷺ ، رغم أن صاحبها كان يهودياً .. والتمثيل بجثث قتلى الأعداء ، محرم فى الإسلام ، كما نعلم .

أما مجموعة حاجات هذا الجسد ، فإشباعها ضرورى فى الإسلام ، ويسميها الإمام الغزالى «القوى الحيوانية»، لأنها «قوة تنبعث فى الأعصاب والعضلات، من شأنها أن تشنج العضلات»(٢)، ولذلك كان من رأيه فى واحدة منها، وهى الشهوة الجنسية ، أنها « خلقت فيه (أى فى الإنسان) ، لتكون باعثة له ، على الجماع ، الذى هو سبب بقاء النوع الإنسانى ، فيطلب النكاح، للولد والتحصن ، لا للعب والتمتع ، وإن تمتع ولعب ، كان باعثاً عليه التآلف والاستمالة، الباعثة على حسن الصحبة ، وإدامة النكاح »(٣) .

فإشباعه ـ فى الحالين ـ عنده ـ ضرورة دينية .

---

(١) محمد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ أوروبا الحديثة ، من عهد النهضة الأوربية ، الى نهاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون ـ المطبعة الاميرية ببولاق ـ القاهرة ـ ١٩٣٤ ، ص ٤٢ .

(٢) معارج القدس ، فى مدارج معرفة النفس ـ تاليف حجة الاسلام، أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ـ الطبعة الثانية ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ١٩٧٥ ، ص ٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

إلا أن الإسلام لا يدعو إلى إشباع حاجات الجسد ، كيفما اتفق ، وإنما هو (ينظمها) ، بما لا يمثل (افتئاتا) على حق النفس ، أو حقوق الغير ، فهو « يعترف بالرغبات البشرية ، ولا يدعو إلى كبتها ، ولكنه يدعو إلى ضبطها ، ويقف بها عند حد متقارب وسيط ، يحققها ، ويحول فى نفس الوقت،دون خطر الإسراف فيها ، أو خطر بجافاتها كلية ، مع تقدير خطر الإسراف والمجافاة ، على الكيان الإنسانى ، ومن ثم على المجتمع البشرى كله . ولا ريب، أن النظرة الإسلامية للجنس ، تختلف تماما،عن نظرة الفكر البشرى ، التى تقرر أن الجنس ثمرة خطيئة حواء وادم ، والمعروف أن تحريم الزنا فى الإسلام ، لا ينبعث عن كراهية الجنس ، بل عن احترام الجنس ، وتنزيهه عن العبث ، وارتفاع بشأن المرأة ، عن أن تكون أداة لمتعة الرجل »(١) .

أما **الملكة الانسانية الثانية** ، فهى العقل .

وموقف الكنيسة فى العصور الوسطى من العقل ، كموقفها من الجسم ، هو موقف التحدى والتصدى ، فكما نظرت إلى « التنسك » ، على أنه « من الأمور الهامة ، لإخضاع رغبات البدن ، وإعلاء الروح » ، وكما نظرت « للحياة التى تعتمد على الخبرات الحسية ، على أنها شر » — « كان ينظر إلى العلوم المدنية، على أنها تعلى العقل الإنسانى، بطريقة غير صحيحة، على الإيمان المسيحى » (٢) ، وذلك « لأن العقيدة المسيحية — كما قال المعاصرون —

---

(١) أنور الجندى : التفسير الاسلامى للفكر البشرى ، الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة ، فى ضوء الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة — دراسات فى التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

تقوم على أساس الإيمان ، فى حين يعتمد العلم على التعقل »(١) .

ومن ثم لم يكن القديس بندكت ، الذى نسب إليه العصر البندكتى » الذى استمر من القرن السابع ، إلى القرن الحادى عشر الميلادى ، والذى دارت الحياة فيه ، حول الحياة فى لأ ديرة ، كمثل أعلى للحياة المسيحية — « لم يكن يعتقد أن العقل أو الروح ، ينبغى أن تترك وشأنها ، لتتجه إلى الشرور والآثام ، التى نفر منها »(٢) .

وترك أمر العقل والروح ، لرجال الدين ، بوصفهم (رعاة) ، يقودون الناس ، بوصفهم (قطيعاً) يقاد ، مستندين فى ذلك ، إلى تلك العبارة ، التى قالها البابا إينوسنت الرابع Pope Innocent IV : « إن عيسى المسيح ، هو الذى خلق بيديه ، بطرس وأتباعه ، وأعطاهم مفاتيح مملكة السماء ، قائلا لهم : هيا أطعموا خرافى »(٣) — والطعام هنا ، طعام العقل والروح ، لا طعام البطن ، كما هو واضح ، حيث كانت « عقول الناس ، واقعة تحت سيطرة الكنيسة ورجالها »(٤) ، وحيث قامت فلسفة الكنيسة العقلية ، على أساس أن الحقيقة المطلقة الوحيدة ، « هى الله ، ومن ثم كانت مثالية الإنسان ، هى أن يحقق هذا الاتصال به ، والإحساس بالسعادة التامة ، نتيجة لهذا الاتصال »(٥) —

---

(١) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٣ ، ص ٤٠ .

(٢) الدكتور بول منرو (مرجع سابق) ، ص ٢٥٩ .

(3) THUT, I. N. : The Story of Education, Philosophical and Historical Foundation, Mc Graw-Hill Company, Inc., New-York, 1957. p. 87.

(4) GUEST, GOERGE : The March of Civilization, G. Bell and Sons, Ltd., 1951, p. 105.

(5) DEWEY, JOHN : Democracy and Education, An Introduction to the Philosophy of Education, The Macmillan Company, New-York, 1916, p. 310.

لا الاتصال بالعالم الطبيعى ، المحيط بالإنسان ، الذى اعتبره الإسلام ، هو الطريق الطبيعى ، المؤدى إلى الله سبحانه ، ومن ثم كانت آيات القرآن الكثيرة ، الداعية إلى (التأمل) ، فى هذا العالم الطبيعى ، ودراسته ، والوقوف على أسراره ، وصولا إلى الله ، واستغلالا له فى خدمته — أى فى خدمة الإنسان .

ومن ثم كان ذلك الربط الإسلامى الرائع ، بين (العقل) و(القلب)، أو بين (الشعور) و(الإحساس)،فالإمام الغزالي يرى،أن « العقل لن يهتدى إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأس ،والشرع كالبناء ، ولن يغنى أس ، ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ، مالم يكن أس »(١) .

وهى رؤية ، متصلة بالتصور الإسلامى للإنسان ، الذى « يجمع بين العقل والقلب، والشريعة والحقيقة ، وترابط الظاهر والباطن ، ويؤكد أنه ليس هناك معرفة عن طريق القلب ، مستقلة ، أو معرفة عن طريق العقل مستقلة ، أبداً »(٢) .

وأما **الملكة الانسانية الثالثة** ، فهى الروح .

والاهتمام بالروح ،يكاد أن يكاد (محور) الفكر الدينى كله — بما فى ذلك الإسلام .

إلا أن هذا الاهتمام (بالروح) ، لا يصل فى دين من الأديان السماوية وغير السماوية ، إلى درجة الدقة والروعة والإتقان ، التى وصل إليها فى الإسلام .

---

(١) معارج القدس ، فى مدارج معرفة النفس (مرجع سابق) ، ص ٥٧ .

(٢) أنور الجندى : المؤامرة على الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

ذلك أن الروح ينظر إليها ، فى الديانات السابقة ، منفصلة عن الجسد والعقل ، على نحو ما رأينا فى المسيحية، على سبيل المثال ، ولكنها ينظر إليها فى الإسلام ، متصلة بغيرها من الملكات الإنسانية ، « وحين يدعو الإسلام إلى التطهر الروحى ، والانطلاق من قيود الشهوات ، فإنه لا يعنى كبت الدوافع الحيوية ، وإزهاق الطاقات الحية . إنما هو يدعو ، إلى أن يملك الإنسان قياد نفسه ، فلا يكون عبداً مملوكا لشهواته ، ولا حيوانا مدفوعا بنزواته » . « والدعوة إلى الاستمتاع فى الإسلام ، تسير جنبا إلى جنب، مع الدعوة إلى التسامى ، فتنشأ من بينهما، صورة الاعتدال ، البرىء من الفحش ، البرىء من الحرمان »(١) .

وهنا لا يمكن أن تتسرب (الكهانة) ، القاتلة للدين ، إلى هذا الدين الإسلامى ، المستعصى على أن يقتل ، كما أثبت تاريخه الطويل ، فإن « الدين إنسانى بطبعه وشرعته ، أما الكهانة ، فأنانية بغريزتها » ، و « الدين (ديمقراطى) النزعة » ، « أما الكهانه ، فإنها لا تؤمن بالديمقراطية ، حتى ولا أضعف الإيمان » ، و « الفرق الثالث ، يتجلى فى إيمان الدين بالعقل ، وكفر الكهانة به ، كفرا بواحا » ، كما « أن الدين يؤمن بالحياة ويحبها » ، « أما الكهنة، فيجعلونها أبغض الأشياء إلى قلوب الناس ، حتى إذا انصرف الناس عنها ، خلواهم إليها ، واجتالوا لأنفسهم طيباتها »(٢) — كما رأينا فى تاريخ المسيحية فى العصور الوسطى ، فيما سبق .

والإسلام ينفر من الكهانة ، لأنه يؤمن بالإنسان ، وبمختلف ملكاته ، و « دور الإسلام إزاء هذه الطبائع البشرية ، لا يتعدى توجيها

---

(١) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٤٤ — ٤٦ .

(٢) خالد محمد خالد : من هنا .. نبدأ — الطبعة الثانية — دار النيل للطباعة — ١٩٥٠ ، ص ٦٥ — ٦٩ .

أو تهذيباً »(١) ، من خلال هذا السمو بالروح ، بربطها بالملأ الأعلى ، الذى تنتسب إليه بطبعتها ، كما رأينا عند حديثنا عن (الربانية) ، فى الفصل الثانى(٢) .

وأما الملكة الانسانية الرابعة ، فهى الملكة الاجتماعية ، وقد أفضنا فى الحديث عنها ، فى كتابنا الرابع من كتب السلسلة(٣)، وفيه رأينا أن للإنسان (حاجات) اجتماعية ، لا تقل عن (الحاجات) البيولوجية أهمية ، ومن هذه الحاجات الاجتماعية ، الحاجة إلى الأمن ، والحاجة إلى المحبة ، والحاجة إلى التقدير ، والحاجة إلى النجاح ، والحاجة إلى الحرية ، والحاجة إلى الانتماء (أو الحاجة إلى الجماعة)(٤) ، ويضيف إليها كيرتس، الحاجة إلى التجاوب ، والحاجة إلى الاعتراف(٥) .

ولا تتحقق مثل هذه الحاجات الاجتماعية ، فى نظام دينى او مدنى ، مثلما تتحقق فى الإسلام ، من خلال ذلك (الربط) الذى يحققه، بين الإنسان المسلم وربه ، تحقيقاً يمكنه من أن يشبع هذه الحاجات جميعاً ، حتى ولو كان مضاداً للمجتمع ، لا وهو مساير له فقط ، كما فى النظم الأخرى .

---

(١) الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ، ص ٣٣٧ .

(٢) ارجع الى ص ٤٦ — ٤٩ من الكتاب .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ٧٣ وما بعدها .

(٤) الدكتور ابراهيم وجيه محمود : التعلم — عالم الكتب — ١٩٧١ ، ٨٥ — ٩١ .

(5) CURTIS, JACK H. : Social Psychology: Mc Graw - Hill Book Company, Inc., New-York, 1960, pp. 232, 233.

ولا يكتفى الإسلام بهذا الجزاء (الأخروى)، تحقيقاً لهذه الحاجات، وإنما هو يشرع من (الإجراءات)، ما يكفل تحقيقها فى المجتمع المسلم أيضاً، فى الحياة الدنيا، من خلال تلك (الحقوق)، التى يوفرها للإنسان — حتى ولو لم يكن مسلما — فيه، ومنها «أن يحافظ على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم»، و «المحافظة على حريتهم الشخصية»، و «الحرية فى إبداء الرأى والمبدأ»، وكفالة «الحاجات الإنسانية، اللازمة لكل فرد من أفراد البلاد». «والإسلام لا يفرق فى هذا الباب، بين سكان البلاد، من المسلمين، وأهل الذمة»(١).

وبالجزاء الأخروى، مصحوباً بالإجراءات الدنيوية، يربى المسلم على «الأنفة وعزة النفس»، وعلى «التواضع»، و «تزكية النفس، والعمل الصالح»، و «العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل»، و «الترفع والقناعة والاستغناء، ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشر والحسد والدناءة واللؤم»(٢)، كما يدفع «لاستجاشة شعور الود، وإحساس الألفة، فهو يدعو إلى إشاعة الكلمة الطيبة بين الناس»، و «إلى الصفح عن المساءة، وضبط النفس عند الغضب، وجهادها، لا لتضطغن وتحقد، ولكن لتعفو وتغفر»(٣).

---

(١) ابو الأعلى المودودى : تدوين الدستور الاسلامي — الطبعة الثانية — دار الفكر (دمشق)، ص ٧٢ — ٧٦.

(٢) ابو الأعلى المودودى : مبادىء الاسلام — دار الأنصار بالقاهرة — ١٩٧٧، ص ٧٦ — ٧٩.

(٣) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام (مرجع سابق)، ص ١١٢.

الاسـلام وحاجات الانسان :

هذه هى (الملكات) الإنسانيـة ، التى ولد الإنسان مزودا بها ، وعندما يزود الله الإنسان بملكات طبيعية فيه ، فإن المطقى ، هو أن يدعوه ، بل يأمره ، باستغلالها ، لا بتعطيلها ، أو تعطيل واحدة منها .

وهذه الملكات والمواهب ،(نعمة) الله على الإنسان ، ومن ثم يعد تعطيلها ، كفراً بنعمة الله ، مهما رفع (الشعار) ، الذى من أجله ، تم هذا (التعطيل) .

ويكون البديل الوحيـد ، هو (السمو) بها جميعاً ، فيعيش الإنسان ، بكل ملكاته ومواهبه ، (ربانياً) ، ومن خلال هـذه الربانية ، يتحقق كماله (الإنسانى) .

ومن سلك سبيلا ، غير هذا السبيل ... سبيل السمو بملكاته جميعاً ، فإنما يسلك سبيلا ، يبتعد به عن الفطرة ، كما فعل النصارى ، على حد التعبير القرآنى ، ومن ثم فهم لا يقدرون عليه ، لمجافاته للفطرة :

— « ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى بن مريم ، وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه ، رأفة ورحمة ورهبانية ، ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم ، إلا ابتغاء رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها ، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون »(١) .

ويرى الشهيد سيد قطب ، فى هـذه الآية ، أن « الراجح فى تفسير الآية ، أن هـذه الرهبانية ، التى عرفها تاريخ المسيحية ، كانت اختياراً ، من بعض أتباع عيسى عليه السلام ، ابتدعوها من عند أنفسهم ، ابتغاء رضوان

---

(١) قرآن كريم : الحديد — ٥٧ : ٢٧ .

الله ، وابتعاداً عن أوضار الحياة ، ولم يكتبها الله عليهم ابتداء . ولكنهم حين اختاروها ، وأوجبوها على أنفسهم ، صاروا مرتبطين أمام الله ، بأن يرعوا حقوقها ، ويحافظوا على مقتضياتها ، من تطهر وترفع ، وقناعة وعفة ، وذكر وعبادة .. مما يحقق فى أنفسهم ، حقيقة التجرد لله ، التى قصدوا إليها ، بهذه الرهبانية ، التى ابتدعوها .

ولكنها انتهت إلى أن تصبح فى الغالب ، طقوساً وشعائر ، خالية من الروح ، وأن يتخذها الكثيرون ، مظهراً عارياً من الحقيقة ، فلا يصبر على تكاليفها ، إلا عدد منهم قليل » .

« والله لا يأخذ الناس بالمظاهر والأشكال ، ولا بالطقوس والمسوح ، إنما يأخذهم بالعمل والنية ، ويحاسبهم على حقيقة الشعور والسلوك ، وهو الذى يعلم خبايا القلوب ، وذوات الصدور »(١).

وأما المناسب للفطرة الإنسانية ، كما فطر الله الناس عليها ، هو ما شرعه الإسلام ، من النهوض بهذه الملكات جميعاً ، على النحو السابق :

— « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٢) .

ولذلك يعلق الشهيد سيد قطب على الآية بقوله : إن « هذا التوجيه ، لإقامة الوجه للدين القيم ، يجىء فى موعده ، وفى موضعه ، عبر تلك الجولات ، فى ضمير الكون ومشاهده ، وفى أغوار النفس وفطرتها » ، « وبهذا

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (الأجزاء : ٢٦ — ٣٠) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٣٤٩٥ ، ٣٤٩٦ .

(٢) قرآن كريم : الروم — ٣٠ : ٣٠ .

يربط بين فطرة النفس البشرية ، وطبيعة هذا الدين ، وكلاهما من صنع الله ، وكلاهما موافق لناموس الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر ، فى طبيعته واتجاهه » .

« فهى الإنابة إلى الله ، والعودة فى كل أمر إليه ، وهى التقوى ، وحساسية الضمير ، ومراقبة الله فى السر والعلانية ، والشعور به ، عند كل حركة ، وكل سكنة »(١) .

المجتمع الاسلامى والمجتمع الدولى :

لا يستطيع الإنسان — فرداً — أن يعيش بمعزل عن مجتمعه ، الذى يعيش فيه ، لأن هناك (مصالح مشتركة) ، تربطه بالآخرين . كما لا يستطيع مجتمع من المجتمعات ، أن يعيش (منقوقعاً) على نفسه ، وإنما لا بد له أن (يحتك) بالمجتمعات الأخرى ، بغض النظر عما بينه وبين هذه المجتمعات ، من أوجه اتفاق ، أو أوجه اختلاف ، لأن هناك (مصالح مشتركة) ، بين كل مجتمع وآخر ، عبر عنها ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ ، بعد الحرب العالمية الثانية ، فيما سمى (بحقوق الإنسان) ، التى أعلنت « فى ليك سكس سنة ١٩٤٥ » ، ونصت على أن « الناس متساوون ، فى الحقوق والاعتبار » ، « من غير تفرقة ، بجنس أو لغة أو دين أو رأى سياسى أو غيره »(٢) ، بعد أن أدى (تغافل) هذا الحقوق ، إلى حربين عالميتين اثنتين ،

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (الأجزاء : ١٩ — ٢٥) الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٧٦٧ ، ٢٧٦٨ .

(٢) الدكتور مصطفى الرافعى : الاسلام ومشكلات العصر — الطبعة الاولى — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٢ ، ص ٣٣ .

لا يفصل بين الحرب العالمية الأولى منهما ، والحرب العالمية الثانية ، سوى ربع قرن من الزمان — وبعد أن صارت الحضارة الإنسانية كلها ، مهددة بالزوال ، لو تفجرت حرب عالمية ثالثة .

ولقد (اضطر) العالم المعاصر ، إلى أن يتفق على (حقوق الإنسان) ، تحت (وطأة) التهديد الشامل للجنس البشرى كله ، بالفناء ، ومع ذلك — ورغم حقوق الإنسان — فالحقوق كل الحقوق ، لا زالت هى حقوق الإنسان الغربى ، هى حقوق الأقوياء وحدهم ، ولا زال الضعفاء محرومين من كل حق إنسانى ، « فالعالم اليوم سوق نخاسة كبرى .. تجارها هم (أولاد الحرة) ، ورقيقها هم (أولاد الجارية) ، شعوبا وحكومات .

أما الأمم المتحدة ، فهى منظمة هذه السوق »(١) .

أما الإسلام ، فقد أقر (حقوق الإنسان) منذ البداية ، لا تحت وطأة ظروف معينة ، ولكنه أقرها ، بالرغم من أن الظروف المحلية والعالمية كلها ، كانت ضده ، فى هذا الإقرار ، فقد بنى « قومية جديدة ، على أسس عقلية ، تعتمد فى أصلها ، على الاختلاف الروحى الجوهرى ، لا على الفرق المادى الأرضى » — « على الإيمان والعمل » ، لا « على الجنس والوطن »(٢) .

إن (حقوق الإنسان) ، تقوم فى (ضمير) الإنسان الفرد ، قبل أن تفرض عليه من الخارج ، تحت وطأة أية ظروف ، ومن ثم أقامها الإسلام فى هذا (الضمير) ، فاستقرت فيه ، حين نزل الوحى بقوله تعالى :

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ .

(٢) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٥٠ .

— « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »(١) .

ولذلك يعلق الشهيد سيد قطب،على هذه الآية ،بقوله : « وهكذا تسقط جميع الفوارق ، وتسقط جميع القيم ، ويرتفع ميزان واحد ، بقيمة واحدة ، وإلى هـذا الميزان يتحاكم البشر ، وإلى هـذه القيمة ، يرجع اختلاف البشر في الميزان .

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض ، وترخص جميع القيم ، التي يتكالب عليها الناس ، ويظهر سبب ضخم واضح، للألفة والتعاون : ألوهية الله للجميع ، وخلقهم من أصل واحد . كما يرتفع لواء واحد ، يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله ، وهذا هو اللواء ، الذي رفعه الإسلام ، لينقـذ البشرية،من عقابيل العصبيـة للجنس ، والعصبية للأرض ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت » .

«وقد حارب الإسلام، هذه العصبية الجاهلية ، في كل صورها وأشكالها ، ليقيم نظامه الإنساني العالمي ، في ظل راية واحدة : راية الله . . لا راية الوطنية ، ولا راية القومية ، ولا راية البيت ، ولا راية الجنس ، فكلها رايات زائفة ، لا يعرفها الإسلام » .

« وهذه هي القاعدة ، التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي ، المجتمع الإنساني العالمي ، الذي تحاول البشرية ، في خيالها المحلق ، أن تحقق لوناً من ألوانه ، فتخفق ، لأنها لا تسلك إليـه الطريق الواحد الواصل المستقيم . .

---

(١) قرآن كريم : الحجرات — ٤٩ : ١٣ .

الطريق إلى الله ، ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمعة . . راية الله »(١) .

والمجتمع الإسلامى، جزء من هذا المجتمع الدولى ، ومن ثم فغير معقول أن يقف من قضاياه ، موقف (المتفرج) ، وإلا كان شريكا فيما تقع فيه المجتمعات الأخرى — غير الإسلامية — من أخطاء ، تهدد الجنس البشرى كله ، بالفناء .

وأول الطرق لتحقيق هذه المسئولية ، هى التزود بكل وسائل القوة ، لا نشراً للدين بقوة السيف ، ولكن حماية للنفس من عدوان الغير ، وإسماعاً للصوت ، الذى علمنا التاريخ الطويل للإنسانية ، أنه لا يسمع ، إلا من الأقوياء :

— « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله ، يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم »(٢) .

وهكذا ، نجد « الإسلام يتخذ للنصر عدته الواقعية ، التى تدخل فى طوق العصبة المسلمة ، فهو لا يعلق أبصارها ، بتلك الآفاق العالية ، إلا وقد أمن لها الأرض الصلبة، التى تطمئن عليها أقدامها ، وهيأ الأسباب العملية ، التى تعرفها

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (مرجع سابق) ، ص ٣٣٤٨ ، ٣٣٤٩ .

(٢) قرآن كريم : الأنفال — ٨ : ٦٠ ، ٦١ .

فطرتها ، وتؤيدها تجاربها ، وإلا إذا أعدها هى ، للحركة الواقعية ، التى تحقق هذه الغايات العلوية »(١) .

ذلك أن « الإسلام ، ليس نظاما لاهوتياً ، يتحقق بمجرد استقراره ، عقيدة فى القلوب ، وتنظيما للشعائر ، ثم تنتهى مهمته . إن الإسلام منهج عملى واقعى للحياة ، يواجه مناهج أخرى ، تقوم عليها سلطات ، وتقف وراءها قوى مادية ، فلا مفر للإسلام — لإقرار منهجه الربانى — من تحطيم تلك القوى المادية ، وتدمير السلطات التى تنفذ تلك المناهج الأخرى ، وتقاوم المنهج الربانى »(٢) .

وعندما يكون المجتمع الإسلامى قوياً ، فإن صوته سيكون مسموعاً ، شأن كل مجتمع قوى ظهر — ويظهر — على وجه هذه الأرض ، كما تعلمنا أحداث التاريخ .

ومن ثم يكون الجو ممهداً للطريقة الثانية ، وهى (نظافة) هذا المجتمع الإسلامى ، وما يوفره لكرامة (الإنسان) فيه ، من أمن وأمان ، لتلعب دورها فى المجتمع الإنسانى ، فكثيراً ما كانت (نظافة) هذا المجتمع ، تسبق الجيوش الإسلامية المحاربة ، فى الشام ومصر والعراق وفارس ، فتقرر مصير الحرب ، قبل أن تبدأ .

ولقد انتقل الإسلام إلى جنوب شرقى آسيا ، بما تسامعه الناس هناك ،

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٥٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٤٤ .

عن هذه النظافة ، وما رأوه عمليا منها ، فى التجار المسلمين ، الذين يتعاملون معهم .

وأخيراً يأتى دور الكلمة ، شرحا وتوضيحا للفكرة الإسلامية ، ودفاعا عن الحق ، الذى يطالب الإسلام بالدفاع عنه ، حتى ولو كان هذا الحق .. لعدو كافر ، من مسلم أو مؤمن ، فنصرة المسلم للمسلم ، تعنى إبعاده عن الظلم ، لا مساعدته عليه ، كما تعنى دفعه إلى الحق ، لا إبعاده عنه .

وهنا فقط ، تكون للكلمة قيمة ، ويكون لها تأثير .

أما حين تقف الكلمة عزلاء ، مجردة من سندها الأساسى المزدوج ، وهو القوة ، والنظافة ، فإن الكلمة تكون سلاحا ضد قائلها ، لا سلاحا من أسلحته .

ولم يكن غريباً أن يكون موقف الإسلام من المنافقين ، أشد من موقفه من الكفار أنفسهم . ذلك أن الكافر ، معروف لدى الجميع ، عداوته للإسلام ، ومن ثم فإن ما يقوله عن الإسلام ، وهو يحاربه ، قد يكون ـ فى حد ذاته ـ دعوة إلى الإسلام ـ أما المنافق ، فإنه محسوب على الإسلام ، ومن ثم يكون خطره على الإسلام أشد .

ولكم كان الإسكندر الأكبر موفقاً ، حين قال :

« اللهم قنى شر أصدقائى ، أما أعدائى ، فأنا كفيل بهم » .

وإذا كانت هناك ثلاثة أديان سماوية ، تتقاسم عالمنا المعاصر ، هى اليهودية والمسيحية والإسلام ، فإن الإستاذ عبد المتعال الصعيدى ، يرى أن أقدرها على تحقيق السلام العالمى ، هو الإسلام ، « لأنه ينظر إلى الشعوب البشرية ، تلك النظرة السابقة ، ويؤمن بموسى عليه السلام ، وهو رسول اليهودية ،

ويؤمن بعيسى عليه السلام ، وهو رسول النصرانية ، ويؤمن بغيرهما من رسلهم ، فإذا دخل فيه اليهود والنصارى، وجدوه يلتقى معهم ، فى التصديق برسلهم، ويقابلهم فى نصف الطريق ، كما يقولون » .

« وقد غلا اليهود والنصارى، فى شأن عيسى عليه السلام ، فقال اليهود إنه ابن زنا ، وقال النصارى ، إنه ابن الله تعالى » ، « ولا شك أن ما يقوله المسلمون فى شأن عيسى ، هو ما يمكن أن تجتمع عليه كلمة الأديان الثلاثة ، لأنه وسط بين غلو اليهود فى التعصب عليه، وغلو النصارى فى التعصب له»(١).

وتكاد هذه (الوسطية) الإسلامية، بين المسيحية واليهودية ، ألا تقف عند حد قضية المسيح ، بل تتعداها إلى كل القضايا الإنسانية ، التى ظهرت ـ وتظهر ـ على الخريطة الإنسانية، فكراً وتطبيقاً ، منذ أقدم عصورها ، وحتى اليوم .

---

(١) عبد المتعال الصعيدى : لماذا أنا مسلم ؟ ـ مكتبة الآداب بالجماميز ـ ١٩٧٦ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

الفصل الرابع

مجتمع نظيف

تقــديم :

نظافة المجتمع الإسلامى ـ كما سبق ـ سلاح أساسى من أسلحة النصر ، التى يعتمد عليها، سواء فى توفير الأمن والرفاهية لأبنائه ، فى داخل حدوده ، وفى انتشار الإسلام ذاته ، خارج الحدود الإسلامية ، وبالتالى ، فى إعلاء كلمة الله فى الأرض ، ودحر قوى الشيطان ، المتربصة بالإسلام ، والمتربصة بكل حق ، سواء من الكفار فى الخارج ، ومن المنافقين فى الداخل .

وليست نظافة المجتمع الإسلامى ، بمعزولة عن (ربانية) هذا المجتمع ، و (إنسانيته) ، بل إنها الثمرة الطبيعية ، والنتيجة المنطقية ، لهما .

ولم يكن غريبا، أن يعتبر ابن القيم، الجهاد، « أربع مراتب : جهاد النفس، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين » ، وأن يرى أن جهاد « النفس، أربع مراتب أيضا : إحداها : أن يجاهدها ، على تعلم الهدى ودين الحق » ، و « الثانية : أن يجاهدها على العمل به ، بعد علمه » . و « الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه ، وتعليمه من لا يعلمه » .

و« الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة، وأذى الخلق»(١).

---

(١) العلامة شمس الدين بن القيم : الجهاد فى سبيل الله ـ (منقولة من كتاب « زاد المعاد » ـ « باب الجهاد ») ـ دار الفتح للطبع والنشر والتوزيع ، ص ١٢ ، ١٣ .

كذلك يعتبر « جهاد الكفار والمنافقين » ، « أربع مراتب : بالقلب واللسان والمال والنفس .

وجهاد الكفار أخص باليد ، وجهاد المنافقين أخص باللسان »(١) .

وبهذا الجهاد المتشعب ، تتحقق ربانية المجتمع الإسلامى ، كما تتحقق إنسانيته ، وتتحقق – فى النهاية – نظافته، من كل ما يعلق بالمجتمعات الأخرى ، من أدران وأوساخ .

ذلك أن « الإسلام ، شىء أكبر من الصلاة ومن الصوم » ، « والقيم الروحية فى الإسلام ، ذات علاقة وثيقة بنواحى الحياة المادية المختلفة » ، «والعقيدة ليست رداء ، يلبس وينزع ، حسب الرغبة ... إنها المحور الذى تدور حوله الحياة الكاملة، ولقد كان الإسلام قوة فعالة ، عندما كان يشكل محور حياة المسلمين »(٢) .

ولعل من المناسب ، أن نبدأ بتحديد معنى (المجتمع النظيف) ، قبل أن نخوض فى تفصيلات الحياة ، فى هذا المجتمع .

معنى نظافة المجتمع :

ومعنى نظافة المجتمع – باختصار – هو (أخلاقية) هذا المجتمع . وإذا كانت الأخلاق نسبية ، بمعنى أن ما يستحب هنا ، قد يكون مكروها

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) محمد مظهر الدين صديقى : ما هو الاسلام – رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى اسلامى) – المختار الاسلامى – ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م ، ص ٦٤ .

هناك ، فإن نظافة المجتمع وعدم نظافته ، لابد أن يكونا هما الآخرين ، أمرين نسبيين ، يختلفان ، باختلاف ظروف الزمان والمكان .

ورغم ذلك ، فإن (الضمير) الإنسانى ، يقر أموراً ، ويرفض أموراً .

وهو عندما يقر ما يقر ، وعندما يرفض ما يرفض ، إنما يستجيب — فى ذلك — لداعى (الفطرة) ، التى فطر الله الناس عليها ، بغض النظر عن ظروف الزمان والمكان .

وعندما يستمع الإنسان إلى صوت ضميره ، ويستجيب لداعى الفطرة فى أعماقه ، فإنه يقترب — تدريجيا — من النهج الربانى فى الحياة ، ويعيش فى مجتمع إنسانى نظيف .

وقد رأينا — عند الحديث عن (الأخلاق الربانية) فى الفصل الثانى(١) — أن الإيمان والإحسان ، هما الترجمة الحية ، للإسلام الصحيح ، فى نفس الإنسان .

والإحسان — لغويا — يعنى الإجادة ، يقال : « (أحسن) : فعل ما هو حسن » ، وأحسن « الشيء : أجاد صنعه » ، وأحسنه « أتقنه » ، وأحسن « إليه وبه : فعل ما هو حسن »(٢) .

والإحسان دينيا ، لا يبعد كثيراً عن الإحسان اللغوى ، إذ هو يعنى —

---

(١) ارجع الى ص ٤٦ وما بعدها من الكتاب .

(٢) المعجم الوسيط ـ قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون ـ واشرف على طبعه : عبد السلام هارون ـ الجزء الأول ـ مجمع اللغة العربية ـ مطبعة مصر ـ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م ، ص ١٧٤ .

كما سنرى فيما بعد — أن يكون الإنسان فى أحسن حالاته — الإنسانية ويكون الإنسان فى أسوأ حالاته — فى رأى الدكتور فيليب فينكس، الذى أشرنا إليه فى الفصل الثانى — عندما (تتمركز) اهتماماته حول (ذاته)، فلا يكون له من هم، سوى سعادته، وإشباع نزواته(١). ويكون الإنسان فى أحسن حالاته، بالتالى، عندما يتعلق فى حياته، (بمثل أعلى).

ومن هنا تأتى — فى نظره — أهمية الأسرة فى حياة الفرد والمجتمع، فإن «الأسرة، هى الوحدة الاجتماعية الأساسية، ومن أجل تكوينها، كانت الحياة الجنسية. وأهمية الأسرة تتناسب مع ما يتمتع به الفرد من كرامة واعتبار، ذلك لأنه فى الأسرة، يبرز أشخاص جدد، إلى حيز الوجود، وتبذل لهم العناية والرعاية، مع الاهتمام الذى لا حدود له، بمصلحتهم. فى هذا النشاط — نشاط الأبقاء على النوع، والعناية بالأطفال — تتحول إلى حد كبير، أساليب الإهتمام بالذات، وخدمة الذات، لدى الوالدين، إلى تصرفات، تحمل طابع البذل من الذات، والتضحية بالذات»(٢).

وينتقل الإنسان من الأسرة إلى المجتمع، وقد تشرب البذل والتضحية، ليحلا فى نفسه، محل الأنانية والأثرة، فيكون دعامة من دعامات بناء المجتمع، لا عاملا من عوامل هدمه.

ويعرض لنا العلامة أبو الأعلى المودودى، صورة لتحقيق نظافة المجتمع

---

(١) فيليب هـ. فينكس: التربية والصالح العام (مرجع سابق)، ص ٧، ٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٧.

هذه، من خلال العقيدة الدينية الإسلامية، وتحقيقها من خلال غيرها، فى أمر واحد، هو تحريم الخمر، « فى القطر الأميركى ، قام أولو الإصلاح ، بدعاية واسعة ضد الخمر ، مدة سنوات طوال ، وبذلوا ملايين من الدولارات ، لإعلان مضارها ومساوئها... »(١) .

أما فى الإسلام ، فإنه « ما قام أحد فى الإسلام ، بنوع من الدعاية ضد الخمر ، وما بذلت صفراء ولا بيضاء فى النشر والإذاعة فى هذا الصدد ، وما قامت فى بلاد الإسلام رابطة ، تحارب وجود الحانات ، وإنما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس ، أن ياقوم ،لقد حرم الله الخمر ، ولم يخفت دوى إعلانه ، حتى امتنعت الأمة - التى كانت أعشق للخمر من الأمة الأميركية ، ثم لم تكن من العلم والتعقل ، المتعارف عليهما فى ذلك الزمان ، على شىء يذكر فى جنبها - فأمسكت عن الخمر ، وودعتها وداعاً ، لا رجعة لها بعده ، إليها ، ما دامت فى دائرة الإسلام »(٢) .

ثم يعلق على ذلك بقوله : « إن الإسلام لا يصدر الأحكام ، قبل كل شىء ، بل هو يدعو الإنسان إلى الإيمان بالله والرسول » . « ولكنك متى اخترت لنفسك هذا الدين بعد ذلك » ، « كنت فى منزلة (المسلم) ، ومعنى (المسلم)، هو المطيع الخاضع » ، ومن ثم كان « واجبك الأول ، بعد أن أصبحت مسلما ، أن تطأطىء رأسك ، لاتباع كل ما يبلغك ، من أوامر الله ورسوله » .

---

(١) أبو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية (مرجع سابق) ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

« إن العمل الجبار، الذى قام به الإسلام، فى محيط الإصلاح والتنظيم، يرجع الفضل فيه كله ، إلى هذه القاعدة المتينة »(١) .

ومن ثم فإننا لا نبالغ ، إذا نحن ادعينا، أن المجتمع الإسلامى ، كما رسمه الإسلام،وكما تحقق واقعاً حياً فى القرون الهجرية الأولى ، قبل أن تتسرب إليه عوامل الفساد ، هو أنظف المجتمعات البشرية ، التى ظهرت على وجه الأرض .

وهو أنظف هذه المجتمعات البشرية ، لأنه أكثر هذه المجتمعات على الإطلاق ، اقترابا من المثل الأعلى ،الذى ينشده ضمير الإنسانية ، وهو الله سبحانه وتعالى ، على نحو ما رأينا ، عند حديثنا عن (معنى الربانية) ، فى الفصل الثانى(٢) ، وسوف نرى أمارات هذه النظافة ، فيما يلى ، من هذا الفصل .

الاسـلام ونظافة المجتمع :

على أساس الإيمـان بالله ، بنى الإسلام برنامجه ، لتحقيق نظافة المجتمع الإسلامى .

والإيمـان بالله ـ كما سبق ـ هو الذى جعل المجتمع الإسلامى، مجتمعاً ربانياً ، ثم جعله ـ بعد ذلك ـ مجتمعاً إنسانياً ، ثم هو الذى جعله ـ أخيراً ـ مجتمعاً نظيفاً .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) ارجع الى ص ٤٢ ـ ٤٥ من الكتاب .

وهو فى المراحل الثلاث ، مساير (للفطرة) ،التى فطر الله الناس عليها.

ولنقف على مدى هذه المسايرة للفطرة الإنسانية، فى آيتين اثنتين،من سورة الحجرات ، تتكرر معانيها فى سور أخرى كثيرة ، وفى مناسبات أخرى كثيرة :

— « يأيها الذين آمنوا ، لا يسخر قوم من قوم ،عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب ، فأولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، إن الله تواب رحيم »(١) .

ومجتمع يعيش على هذه الآداب ، على حد تعبير الشهيد سيد قطب — لابد وأنه ، عالم له آدابه النفسية، فى مشاعره تجاه بعضه البعض ، وله آدابه السلوكية ، فى معاملاته بعضه مع بعض » ، « وهو عالم نظيف المشاعر ، مكفول الحرمات ، مصون الغيبة والحضرة ، لا يؤخذ فيه أحد ظنة ، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم وحريتهم فيه ، لأدنى مساس »(٢) .

ذلك أن « المجتمع الفاضل ، الذى يقيمه الإسلام بهدى القرآن ،مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التى لا تمس ، وهى من كرامة

---

(١) قرآن كريم : الحجرات — ٤٩ : ١١ ، ١٢ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (مرجع سابق) ، ص ٣٣٣٦ .

المجموع . ولمز أى فرد ، هو لمز لذات النفس ، لأن الجماعة كلها وحدة ، كرامتها واحدة » . « وفى التعبير إيحاء خفى ، بأن القيم الظاهرة ، التى يراها الرجال فى أنفسهم ، ويراها النساء فى أنفسهن ، ليست هى القيم الحقيقية ، التى يوزن بها الناس ، فهناك قيم أخرى ، قد تكون خافية عليهم ، يعلمها الله ، ويزن بها العباد »(١) .

« وبهذا » — على حد تعبير الشهيد سيد قطب — « يطهر القرآن الضمير من داخله ، أن يتلوث بالظن السيء ، فيقع فى الإثم ، ويدعه نقيا بريئاً من الهواجس والشكوك ، أبيض ، يكن لإخوانه المودة ، التى لا يخدشها ظن السوء » ، « وما أروع الحياة ، فى مجتمع برىء من الظنون .

ولكن الأمر لا يقف فى الإسلام ، عند هذا الأفق الكريم الوضيء ، فى تربية الضمائر والقلوب ، بل إن هذا النص ، يقيم مبدأ فى التعامل ، وسياجا حول حقوق الناس ، الذين يعيشون فى مجتمعه النظيف ، فلا يؤخذون بظنة ، ولا يحاكمون بريبة ، ولا يصبح الظن أساساً لمحاكمتهم ، بل لا يصح أن يكون أساساً للتحقيق معهم ، ولا للتحقيق حولهم » .

« والتجسس ، قد يكون هو الحركة التالية للظن ، وقد يكون حركة ابتدائية ، لكشف العورات ، والاطلاع على السوءات .

والقرآن يقاوم هذا العمل الدنىء ، من الناحية الأخلاقية ، لتطهير القلب ، من مثل هذا الاتجاه اللئيم ، لتتبع عورات الآخرين ، وكشف سوءاتهم ، وتمشياً مع أهدافه ، فى نظافة الأخلاق والقلوب .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٤٤ .

ولكن الأمر أبعد من هـــذا أثراً ، فهو مبدأ من مبادىء الإسلام الرئيسية،فى نظامه الاجتماعى ، وفى إجراءاته التشريعية والتنفيذية »(١) .

أى أن الإسلام يقيم نظافة مجتمعه ، على (تنظيف النفس) ، وملاحقة هـذا التنظيف ، من خلال (التشريعات) ، أو على حد تعبير الدكتور عبد العزيز الخياط : إن «المقومات التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى» هى :

« (الأول) الأخلاق والقيم العليا ، التى يدعو لها الإسلام .

(الثانى) الأنظمة ، التى تنظم علاقات الأفراد ، بعضهم مع بعض .

(الثالث) تنفيذ هـذه الأنظمة ، ومباشرة تنظيم العلاقات، بين أفراد المجتمع الإسلامى .

(الرابع) العادات والأعراف السليمة ، التى لا تتناقض مع العقيدة، والتعاليم الإسلامية »(٢) .

أى أن هـذه النظافة الاجتماعية،لا تترتب على الفرد وحده ، ولا على المجتمع وحده،وإنما هى تقوم عليهما معاً ، فالفرد مسئول – فى الإسلام – عن الكل ، والكل مسئول – فيه – عن الفرد ، على حد ما رأينا فى الفصل الثانى ، عند حديثنا عن المجتمع الربانى(٣) .

ولكن المجتمع الإسلامى ، شأنه شأن كل المجتمعات ، مجتمع بشرى ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٤٥ ، ٣٣٤٦ .
(٢) الدكتور عبد العزيز الخياط (مرجع سابق) ، ص ١٦ .
(٣) ارجع الى ص ٥٩ – ٦١ من الكتاب .

ومن ثم يكون من الخطأ — فى رأى الدكتور الخياط — تصوره مجتمعاً « خالياً من كل عيب ، نظيفاً من أى فساد ، نقياً من أى زيغ وانحراف ، فى العقيدة والسلوك » ، « فالمجتمع بهذه الصورة ، مجتمع فلسفى مثالى ، على الصورة التى رسمها الفلاسفة ، لا يمكن أن يكون ، لمخالفته لطبيعة البشر ، وتفاوتهم فى تقبل التعاليم ، وتنفيذ الأحكام ، وتجاذب معانى الخير والشر ، وتصارع الشهوات والأشواق الروحية ، وخير ما يقرر هذه الحقيقة ، أن واقع المجتمع الإسلامى ، الذى أوجده محمد عليه السلام ، واستمر قروناً طوالاً من بعده ، متميز المعالم والحضارة والشخصية والاتجاه ، كان فيه عصاة وبغاة ، ومنافقون وفاسدون ، وكان فيه زنادقة وملحدون ، وأصحاب بدع وأهواء ، وكان فيه ظلم وظالمون ، وسراق ولصوص ، ولكن العبرة بسيادة الشريعة ، فى العقيدة والأنظمة ، والأعراف والتقاليد ، والاستهداء بالكتاب والسنة ، فى استنباط الأحكام والتطبيق ، والحكم لمجموع الأمة ، التى لا تعرف غير الإسلام ، قانوناً وشريعة ، ومرجعاً وسيادة ، تعود إليها ، فى هدى المنحرفين إلى الصواب ، وقمع الضالين عن الضلال »(١) .

وليحافظ الإسلام على نظافة مجتمعه ، من خلال الإبقاء على نظافة أفراده ، أوجب الإسلام ، « أن يكون هناك رأى عام مهذب لاثم ، يحث على الخير ، وينهى عن الشر ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فإن الرأى العام ، له رقابة نفسية ، تجعل كل شرير ينطوى على نفسه ، فلا يظهر ، وكل خير يجد الشجاعة فى إعلان خيره » ، « واعتبر الجماعة كلها ، تكون آثمة ، إذا سكتت على الإثم ، وهو يسير رافعاً رأسه » .

---

(١) الدكتور عبد العزيز الخياط (المرجع الأسبق) ، ص ٦ ، ٧ .

« واعتبر الإسلام الآثمين، هدامين لكل بناء اجتماعى سليم ، وأن الفضلاء، إذا لم يأخذوا على أيديهم ، سقطوا جميعاً فى الرذيلة ، ووراء الرذيلة الهاوية ، التى لا تقوم بعدها للأمة قائمة ، إلا أن يغير الله سبحانه وتعالى حالها ، ويبدل من أمرها » (١) .

اى أن الإسلام — فى سبيل المحافظة على نظافة المجتمع — مظهراً ومخبراً — « قد حث على أمرين :

أولهما ـ الحياء : إذ هو أساس اللياقة فى المجتمعات ، إذ الحياء يحمل المرء ،على ألا يظهر منه ماينفر منه الذوق السليم» .

« الأمر الثانى — الذى حرص عليه الإسلام ، هو أن يكون المجتمع، لا يظهر فيه إلا الفضائل ، وتستتر الجرائم » ، « لأن إعلانها ، يفسد الجو الخلقى للمجتمع ، ويجعل الشر ظاهراً ، وظهوره يغرى باتباعه ، ويشيع الفساد ، إذ الرذيلة إذا أعلنت ، اتبعت ، وكل نفس تميل إليها »(٢) .

وبدون هذا الثنائى — ضمير الإنسان المسلم ، والعمل على نظافة هذا الضمير ، من خلال الرأى العام الفاضل ، والقانون الربانى — ما كان ممكنا، أن تتحقق نظافة المجتمع الإسلامى ، على ذلك النحو المثالى ، الذى تحقق به ، فى القرون الهجرية الأولى .

---

(١) الامام محمد أبو زهرة : تنظيم الاسلام للمجتمع (مرجع سابق) ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) الامام محمد أبو زهرة : فى المجتمع الاسلامى — دار الفكر العربى ، ص ٨ .

وضمانات اخرى لنظافة المجتمع المسلم :

ولا يصلح ضمير الإنسان ، برغم كل الضمانات، التي يمكن أن تتوفر له، لأن يكون رقيبا على نظافة المجتمع ، إلا في القليل النادر . ذلك أن هذا الضمير ، يمكن أن ينحرف عن الخط السماوى ، وينجرف إلى المفـــاسد والشهوات ، تحت ظروف كثيرة ، قد تكون — بطبيعتها — دافعة إلى الرذيلة ، وقد لا تكون دافعة إليها ، وإنما هو الشيطان ، يزين للإنسان الباطل حقاً ، والحق باطلا .

وهنا تأتى أهمية (الربانية) ، على النحو الذى رأيناها عليه ، فى الفصل الثانى(١) ، لا كمجرد عقيدة تعمر القلب، ولكن كوجه أساسى للسلوك، نحو الكمال الإنسانى، ونحو نظافة المجتمع الإسلامى ، كما تأتى أهمية فهم الإنسان المسلم لوظيفته ،التى من أجلها خلق فى هذه الحياة ، وهى وظيفة الاستخلاف عن الله فى الأرض ، وما يلقيه هذا الاستخلاف، على عاتق الإنسان المسلم، من تبعات ومسئوليات ، ترفعه — حتما — إلى مستوى هذه التبعات والمسئوليات ، فلا (ينحط) دونهـا ، لأنه — كخليفة — لابد أن يكون قدوة حسنة، ولبنة نظيفة ، فى بناء مجتمع نظيف، على النحو الذى رأيناه، عند الحديث عن (الإنسانية) فى الفصل الثالث(٢) .

وأخيراً تأتى أهمية (القانون الربانى) ، الذى ينبع من ضمير الإنسان المسلم ، ويسهر المجتمع المسلم على تطبيقه ، على النحو الذى رأيناه فى الفصل الثانى(٣) ، وعلى النحو الذى رأيناه فى مطلع هذا الفصل(٤) — عاملا على

---

(١) ارجع الى ص ٤٢ وما بعدها من الكتاب .
(٢) ارجع الى ص ٦٥ وما بعدها من الكتاب .
(٣) ارجع الى ص ٥٢ وما بعدها من الكتاب .
(٤) ارجع الى ص ٩٩ وما بعدها من الكتاب .

صيانة هذا المجتمع من الخارج ، حتى لا يصل إلى الضمير الداخلى — الفردى — فيه ، إلا كل نظيف، فيظل هذا الضمير ... نظيفا ، نقياً .

ثم يأتى — بعد ذلك كله — أهم هذه الضمانات على الإطلاق ، وهى تلك (الحقوق) ، التى حفظها للإنسان،مسلما كان أو غير مسلم ، طالما كان يعيش فى كنفه،ومن هذه الحقوق ، « المساواة » ، و « الإخاء الإسلامى » ، وارتباط « الحق بالواجب،فى النظرية الإسلامية ، ارتباطا يرقى بالحق إلى درجة الواجب ، ويجعل الواجب مرادفا للحق »(١) .

(فالكرامة الإنسانية) عامة ، لا تتحقق فى مجتمع ، تحققها فى المجتمع الإسلامى ، الذى يحفظ على الإنسان ، « حياته وماله وعرضه ، فلا تمس إلا بحق الله فيها ، ويحميه من السخرية منه ، أو التجسس عليه ، أو اغتيابه ، أو أخذه بالظنة » ، « ويضمن له حرية داره وحرمتها ، فلا يتسورها عليه أحد ، ولا يدخلها بغير إذنه أحد » .

« وبمثل هذه الضمانات،يكفل الإسلام للفرد طمأنينته وحريته،وحرماته جميعاً » ، « ثم يضمن الإسلام للفرد رزقه فى عنق الجماعة : يضمنه بالعمل والنصفة فى الأجر عند القدرة ، وبالضمانات الاجتماعية عند التعطل ، وعند العجز وعند المرض، وعند الشيخوخة، ويكفله للطفل،رضيعاً وناشئاً ، حتى يقدر على العمل »(٢) .

---

(١) الدكتور حسين فوزى النجار (مرجع سابق) ، ص ٧٨ — ٩٣ .

(٢) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٦٣ — ٦٦ .

وليست هذه (الحقوق)، بقاصرة على الإنسان المسلم، كما سبق ، ولكنها تتعداه، إلى كل إنسان يعيش فى المجتمع الإسلامى ، فلطمة على خد نصرانى فى مصر مثلا، تقيم الدنيا وتقعدها ، وذلك لأن « الناس قد شعروا بكرامتهم وإنسانيتهم، فى ظل الإسلام، حتى أن لطمة يلطمها أحدهم بغير حق ، يستنكرها ويستقبحها . وقد كانت تقع آلاف مثل هذه الحادثة ، وما هو أكبر منها ، فى عهد الرومان وغيرهم ، فلا يحرك بها أحد رأسا ، ولكن شعور الفرد بحقه وكرامته ، فى كنف الدولة الإسلامية ، جعل المظلوم يركب المشاق ، ويتجشم وعثاء السفر ، من مصر إلى المدينة المنورة ، واثقا بأن حقه لن يضيع ، وأن شكاته، ستجد أذنا صاغية »(١) .

ومعروف أن أهل الذمة، لهم فى ظل الإسلام، «من الحقوق، مثل ما للمسلمين، إلا فى أمور محددة مستثناة ، كما أن عليهم ما على المسلمين من الواجبات ، إلا ما استثنى »(٢) .

« وأما الحماية من الظلم الداخلى ، فهو أمر يوجبه الإسلام ، ويشدد فى وجوبه » ، « وحق الحماية المقرر لأهل الذمة ، يتضمن حماية دمائهم وأنفسهم وأبدانهم ، كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم »(٣) .

« ومثل حماية الأنفس والأبدان ، حماية الأموال »(٤) . كما يوفر لهم

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوى : غير المسلمين ، فى المجتمع الاسلامى - الطبعة الأولى - مكتبة وهبة بالقاهرة - رمضان ١٣٩٧ هـ - اغسطس ١٩٧٧ م ، ص ٢٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ ، ١١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٥ .

« حرية الاعتقاد والتعبد » ، و « حرية العمل والكسب » ، و « الحق فى تولى وظائف الدولة ، كالمسلمين ، إلا ما غلب عليه الصفة الدينية ، كالإمامة، ورئاسة الدولة ، والقيادة فى الجيش ، والقضاء بين المسلمين ، والولاية على الصدقات ، ونحو ذلك »(١) .

ومما يلفت النظر ، فى حركة النهضة العلمية العربية ، أن « القسم الأكبر من أولئك العلماء العرب ، كانوا وثنيين (حرانيين) ، أو مسيحيين ، أو يهوداً ، وعلى الأخص بالمشرق ، كما أنهم ، فى شبه جزيرة الأندلس ، كانوا فى حقيقة الأمر ، من اللاتين أو اليهود »(٢) ، حيث « كان الخلفاء فى ذلك الوقت، يضعون العلوم،فوق أية اعتبارات،للجنس أو الدين، أو مسقط الرأس »(٣) .

ولم يكن غريباً،أن يعترف كاتب مسيحى ، فى كتابه (سوسنة سليمان) ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ — ٢٣ .

(٢) الدوميلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى — نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى — قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى — جامعة الدول العربية — الادارة الثقافية — الطبعة الأولى — دار القلم — ١٩٦٢ ، ص ١٤٣ .

(3) RADWAN, ABU AL-FUTOUH AHMAD : Old and New Forces in Egyptian Education, Proposals For the Re-construction of the Program of Egyptian Education, in the Light of Recent Cultural Trends, Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University, New-York, 1951, p. 42.

بالظلم الذى وقع على المسيحيين الشرقيين ، من المسيحيين الغربيين ، فى أثناء الحروب الصليبية ، « إلى أن أحوجوهم ، أن يفضلوا مودة العرب ، حكام البلاد الأصليين ، على موادتهم ، ويختاروا تسلط شعب يرتضى بجزية ، على أن يتسلط عليهم ملك روحى ، طمعه وطمع قصاده لا يشبعان » ، وإلى أن يقول المسيحيون ، كما يعبر عنهم ذلك الكاتب : « عمامة السلطان محمد الفاتح، ولا تاج البابا المثلث »(١) .

وليس توفير الكرامة لغير المسلمين على هذا النحو ، لونا من ألوان فصل الدين عن الدولة ، وفهم « أن السياسة شىء ، والدين شىء آخر »(٢) ، على حد ما تصور طه حسين، بخياله المريض، وإنما (سياسة) المسلمين على هذا النحو ، مع غير المسلمين، هى هى (الدين) الإسلامى، الذى يقول دستوره :

— « لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها ، والله سميع عليم »(٣) .

— « قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . . . . لكم دينكم

---

(١) الأستاذ الشيخ محمد ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية (تبحث الأدوار التى مرت بها عقائد النصارى ، وفى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم) — الطبعة الرابعة — دار الفكر العربى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ١٨٨ .

(٢) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨ ، ص ٢١ .

(٣) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٢٥٦ .

ولى دين » (١) .

وفى مثل هذا الجو ، الذى تتوفر فيه للإنسان ، كافة ضمانات الحرية والحياة ، وتتوفر له فيه ،كل سبل الإحساس بالأمن والطمأنينة ، على يومه وغده ، وعلى نفسه وآله ، وعلى فكره وعقيدته ، حتى ولو كان من غير المسلمين ...لا يكون هناك مكان لغير (النظافة)،فى قلوب الجميع ،حتى ولو لم يكونوا مسلمين ، أو لم يكونوا مؤمنين .

ذلك أن الإنسان ، يحب أن (يتمرد) على المجتمع ، عندما يحس بأن حريته فيه مهددة ، أو بأن حقوقه فيه منتهكة ، مهما كانت (الإجراءات) التى تتبع، عنيفة ، متى وجد فرصة لهذا التمرد .

ذلك أنه مهما بلغ عنف الرقابة ،فإنها لا يمكن أن تكون فى كل وقت ، وفى كل مكان ، فعين الرقيب عادة ما تغفل .

أما عندما يحس الإنسان بالأمن على نفسه ، وبحماية حقوقه ، فإنه يسهر على حماية النظام ، مهما كان مخالفاً له ، لأنه يحس بأن هذا النظام ذاته ، هو الذى وفر له ، ما يتمتع به من حقوق وحريات ... مصونة .

ومن ثم تكون نظافة المجتمع المسلم ، نابعة من ضمير الإنسان المسلم ، مصونة بالقانون ، الذى يحكم هذا المجتمع ، ومصونة أيضاً ، بما يوفره هذا القانون،لمن يعيشون فى ظله،من أمن وطمأنينة،لاتنمو فى ظلهما، إلا الفضيلة والنظافة والطهر، ولا يكون فيهما مكان للرذيلة ، ولخبث الطوية،وسوء النية .

---

(٢) قرآن كريم : الكافرون — ١٠٩ : ١ — ٦ .

وحاجات الانسان تتحقق ايضا :

ورغم نظافة المجتمع الإسلامى ، فإنه أكثر المجتمعات الإنسانية قدرة على (إشباع) حاجات الإنسان ، لأن نظافته،لا تقوم على (تغافل) هذه الحاجات،بقدر ما تقوم على(إشباعها) ،على نحو ما رأينا فى الفصل الثانى(١).

غير أن الإسلام، فى إشباعه لهذه الحاجات ، يراعى دوماً،أنها حاجات (إنسانية) ، وليست حاجات (حيوانية) ، ومن ثم فالإنسان، لا يقضى هذه الحاجات — فيه — لمجرد الإشباع ، ولكنه يقضيها، لأنه لن تستمر حياته، بدون إشباعها ، فهو — فى مجال الأكل — على سبيل المثال (يأكل ليعيش ، ولا يعيش ليأكل) .

إنه يعيش لهدف نبيل فى حياته ، وعلى مثل أعلى يعيش له ، ومن ثم فهو مستعد — دوما — للتضحية بحياته ، فى سبيل هدفه ، ومثله الأعلى .

وطالما كان الإنسان — فى الإسلام-(يأكل، ليعيش)لهدفه،الذى يعيش له ، فإنه لا يمكن أن (يسرف) فى قضاء هذه الحاجات وإشباعها . ذلك أن الإسراف،لون من ألوان الترف ، و « (الترف) ممارسة (مدمرة) : سواء للجماعة كلها ، التى تسكت عليها ، وتغض عنها الطرف ، أو تغلو فى انهزاميتها ، فتتملق وتتقرب وتداهن — أو للمترفين أنفسهم ، الذين يعمى الثراء الفاحش ، وما ينبثق عنه ، من ممارسة مرضية متضخمة مبالغ فيها ، بصائرهم ، ويطمس على أرواحهم ، ويسحق كل إحساس أخلاقى أصيل فى نفوسهم ، ويحجب عنهم — وهذا هو الأهم والأخطر — كل رؤية حقيقية ، لدور الإنسان

---

(١) ارجع الى ص ٨٥ من الكتاب .

فى الدنيا »(١) .

ولذلك ، فإن الإسلام ، يندد بقبح الإنسان المسرف ، كما « يندد بالجماعة التى لا (تتحرك) ، لوقف الجريمة عند حدها ، وبالجماهير التى تنظر إلى قلة من طغاتها ، تمارس المنكر ، فلا ترفع يداً ، ولا تنطق بكلمة »(٢) — وذلك حيث يقول سبحانه :

— « وإذا أردنا أن نهلك قرية ،أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً »(٣) .

وفى هذا الجو العام ، يمكن أن نفهم (الزكاة)، كفريضة إسلامية ، وأن نفهم الصدقة ، التى يتقرب بها الإنسان إلى الله — متطوعاً .

والزكاة « ليست صدقة منثورة ، كما توهم بعض الناس » وليس فيها إذلال للغير ، وليست همجية ، كما ادعى البعض . إنما هى الضريبة الاجتماعية ، إن صح لنا أن نعبر عن هذه الفريضة الدينية بهذا التعبير ، وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، يجمعها ، وجمعها الصديق وعمر .

ولكن حدث فى عهد ذى النورين ، عثمان بن عفان ، أن كثرت الأموال فى أيدى الصحابة ، وامتلأ بيت المال بالصدقات ، فرأى ذلك

---

(١) د. عماد الدين خليل : « القرآن الكريم ، والمسألة الاجتماعية (خطوط عريضة) » — **المسلم المعاصر** — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد العاشر — ابريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ ، ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٣) قرآن كريم : الاسراء — ١٧ : ١٦ .

الخليفة، أن يجمع زكاة الأموال الظاهرة ، وهى زكاة الزروع والثمار والإبل والبقر والغنم ، وترك الناس يؤدون للفقراء ، زكاة الأموال الباطنة ، وهى زكاة النقود ، وزكاة التجارة »(١) .

ولكن الأصل فيها ، أن تجمعها (الحكومة المسلمة) ، وتؤديها إلى الفقراء ، ومن ثم فهى — « من جانبها المالى — هى أول ضريبة نظامية ، فى تاريخ الاقتصاد فى العالم ، فقد كانت الضرائب قبل ذلك تفرض ، حسب هوى الحكام ، وبقدر حاجتهم إلى الأموال ، لتنفيذ مآربهم الشخصية ، وكان حملها يقع دائماً على الفقراء ، أكثر مما يقع على الأغنياء ، أو عليهم وحدهم ، دون الأغنياء .

وجاء الإسلام ، فنظم جباية الأموال ، فجعل لها نسبة معينة ، لا تتجاوزها ـ فى الأحوال العادية ـ وجعل حملها على الأغنياء والمتوسطين ، وأعفى الفقراء » .

ثم « إن الذى يوزع حصيلة الزكاة على الفقراء ، هو الدولة ذاتها ، لا الأغنياء بأشخاصهم »(٢) .

أما الصدقة ، التى يخرجها المسلم « تبرعا وإحساناً ، فقد أقرها الإسلام فعلا ، ودعا إليها ، وجعل لها صورا شتى ، فمن إنفاق على الوالدين والأقربين ، إلى إنفاق على المحتاجين عامة ، إلى تصدق بالعمل الطيب ، والكلمة الطيبة .

ولا يقول أحد ، إن الإنسان حين يكرم أهله ، يكون مسيئاً لمشاعرهم ، محقراً لهم ، وإنما هو الود والتعاطف ، وجمع الشمل ، وتأليف القلوب » .

و « الحقيقة الكبرى ، التى يجب أن نذكرها ، هى أن الإسلام لم يجعل حياة أهله قط ، قائمة على الإحسان » « ونذكر كذلك أن الدولة فى الإسلام ،

(١) الامام محمد أبو زهرة : فى المجتمع الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٨٦ .

(٢) محمد قطب : شبهات حول الاسلام — الطبعة العاشرة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

مكلفة بإيجاد عمل ، لكل قادر »(١) .

ومن ثم فالصدقة وسيلة ، من وسائل « إحداث التوازن والانسجام والتعاون والترابط، بين أفراد المجتمع المسلم وفئاته،فهى تجتث أدران الحقد والكراهية والشر،لكى تزرع بدلامنها، علائق التكافل والمحبة والخير»(٢)ـ لتساهم بدورها،فى خلق (المجتمع النظيف) ،الذى يسعى الإسلام إلى خلقه ، كما رأينا فيما سبق ، وهى (فعل) ، يقوم به هذا المجتمع الإسلامى ، على حد تعبير الدكتور عماد الدين خليل ، « تماما كما أن الصلاة فعل دائم ، وحركة مستمرة »(٣) .

وكما يعتبر (ملء البطن) ،حاجة من حاجات الإنسان ، حرص الإسلام على تحقيقها ، على أفضل صورة ، تعتبر (حرية) الإنسان،حاجة أساسية ، عبر عنها الفاروق عمر ، بصيحته المشهورة :

متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

ولقد جاء الإسلام ، و (الرق) نظام عالمى سائد ، « إذ كان الرق مشروعا قبل الإسلام ، فى القوانين الوضعية والدينية ، بجميع أنواعه » ، فقد « كانت اليهودية تبيحه ، ونشأت المسيحية وهو مباح ، فلم تحرمه ، ولم تنظر إلى تحريمه فى المستقبل ، وأمر بولس الرسول العبيد،بإطاعة سادتهم ، كما يطيعون السيد المسيح » . « وأضاف القديس الفيلسوف توما الأكوينى،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٢) د. عماد الدين خليل : « القــرآن الكريم والمسالة الاجتماعيــة (خطوط عريضة) » (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

رأى الفلسفة، إلى رأى الرؤساء الدينيين ، فلم يعترض على الرق، بل زكاه ، لأنه على رأى أستاذه أرسطو ، حالة من الحالات ، التى خلق عليها بعض الناس ، بالفطرة الطبيعية ، وليس ما يناقض الإيمان ، أن يقنع الإنسان من الدنيا بأهون نصيب »(١).

وعندما جاء الإسلام، « ارتفع الإسلام بأتباعه ،إلى منزلة من الإنصاف للرقيق، والرفق به،لم تبلغها الإنسانية ، بآدابها و قوانينها ودساتيرها وأنظمتها، بعد أكثر من ألف سنة »(٢) .

ولم يقف الإسلام ، عند حد هذا الجانب (السلبى) من القضية ، وإنما تعداه ،إلى (إيجابية) ، تمثلت فى سعيه « إلى تحريره ، بشتى الوسائل،وجفف منابعه كلها ، لكى لا يتجدد ، فيما عدا المنبع الواحد،الذى ذكرناه ، وهو رق الحرب المعلنة ، للجهاد فى سبيل الله »(٣) .

ورغم (حقوق الإنسان)، فى عالمنا المعاصر ، فلازال (الرق) موجوداً، فى أعنف صوره ، إذ الرق — فى حقيقته — على حد تعبير محمد قطب — إن هو إلا « تبعية قوم، لقوم آخرين ،وحرمان طائفة من البشر،من الحقوق المباحة للآخرين » ، « وحين يضع الأمريكان على فنادقهم ونواديهم، لافتات تقول (للبيض فقط) ، أو تقول فى وقاحة كريهة : (ممنوع دخول السود

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٥٧ ، ص ٢٠٠ .

(٢) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن — دار الاسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ ، ص ١٠١ .

(٣) محمد قطب : شبهات حول الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٥٧ .

والكلاب »(١) ، فهل نقول هنا : إنها حقوق الإنسان ، عموماً ، أم هى حقوق فريق من البشر ، على حساب فريق ؟

والولايات المتحدة ، التى تحمى حقوق الإنسان، هى نفسها البلاد ، التى تمت فيها أكبر عملية لتجارة الرقيق، فى تاريخ حياة المجتمعات، قديما وحديثها، وأجداد السود (الزنوج) الحاليين فيها، و(اختطافهم) من بلادهم ، دون ذنب جنوه ، ليستعبدوا فى (القارة الجديدة) ، أكبر شاهد على ما نقول ، فإن « سفن أوربا الكاثوليكية ، قد نقلت إلى أمريكا البروتستانتية ، ٣ ملايين من أنجولا وحدها، اختطفوا بكل ضروب الخداع والإرهاب والوحشية، ليباعوا فى أسواق الرقيق »(٢) .

وإنما (حقوق الإنسان) حقا ، نراها فى الإسلام ، وفى موقف عمر — الخليفة — من قاتله ، العبد المجوسى ، أبى لؤلؤة ، الذى (يتهدد) الخليفة ، ومع ذلك يتركه حراً، حتى يرتكب جريمته، « لأنه لم يكن يملك عليه سلطانا، قبل أن يقترف جريمته »(٣) .

ثم تأتى — بعد الحرية — حاجة الجنس .

ولقد دار كتابنا السابق من السلسلة عن (الأسرة) ، حول إشباع هذه الحاجة ، فى إطار من (الإنسانية) الرحيمة الكريمة ، فعلا .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٢) محمد جلال كشك : الغزو الفكرى — من سلسلة (مفاهيم اسلامية) — الطبعة الثانية — الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة مارس ١٩٦٦ ، ص ٢٢ .
(٣) محمد قطب : شبهات حول الاسلام (المرجع الأسبق) ، ص ٦٠ .

إن الإسلام فى مسألة الجنس ، شأنه فى مسألة البطن ، وفى غيرها من المسائل ، يراعى (الطبيعة الإنسانية) ، وحاجات الإنسان النوعية ، إلا أنه يرتفع بها إلى (المثل الأعلى) ، ولا يقف بهـا عند حاجات (الحيوان) ، الكامن فى هذا الإنسان .

ومن ثم فالإسلام، يستجيب للرغبات الطبيعة فى الإنسان، دون ما إسراف أوغلو ، ففى مسألة (تزين المرأة) — على سبيل المثال — يقدر — على حد تعبير الشهيد سيد قطب — « أن للمرأة فى بعض الأحيان ، رغبات فى المتاع والزينة ، غير رغبات الرجل، ويبيح لها أحيانا، ما يحرمه عليه ، مراعاة لفطرتها الأنثوية، فى التزين والتجمل . يبيح لها خاتم الذهب، ولباس الحرير ، على حين ينهى الرجل عن هذا التطرى ، ويعده بالقياس إليه، ترفا مؤذيا، وكل ما يحرمه على المرأة فى هذا المجال ، هو التبرج ، لأن المسألة هنا ، تخرج من دور المتـاع البرىء ، إلى دور الاستثارة الحيوانية ، وهذا هو مفرق الطريق ! »(١) .

إنه يشبع الحاجة الطبيعية فى الإنسان ، على أن يظل محافظا على (نظافة) مجتمعه ، فلم يكن ممكنا ، أن يأمر بالعفة والتصون وحفظ الفروج ، ويدع النساء فيه كاسيات عاريات، وإلا لآل أمره، إلى ما آلت إليه، فى البلاد المسيحية، التى تعتبر النظرة — فى شرعها — زنا ، فإذا بنسبة البنات الحوامل فى واحدة منها — وهى الولايات المتحدة الأمريكية — ترتفع سنة ١٩٤٨ ، إلى ٤٠٪(٢)، بل إن « نسبة الحبالى، من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية ، قد بلغت فى

---

(١) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٤٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

إحدى المدن ، ٤٨ من المائة (١) — وهى مدينة دينفر ، عاصمة ولاية كولورادو - والنسبة اليوم أعلى بطبيعة الحال، بزيادة اتجاه المجتمع الأمريكى - والمجتمعات الغربية عموما - نحو المادية ، ونحو تحطم الأسرة، تحت أقدامها، على نحو ما رأينا فى كتابنا السابق من السلسلة(٢) .

ولا حاجة بنا للحديث هنا ، عن تحطم العلاقات الزوجية المشروعة ، تحت أقدام العلاقات، غير الشرعية وغير المشروعة ، فى هذه البلاد .

فالإسلام يكره « أن تشيع الفاحشة فى المجتمع » ، وهو « يبدأ بأسباب الوقاية ، على نحو ما أسلفنا : يأمر بالحشمة ، ويحرم التبرج ، ويتحرج من الاختلاط ، ويحاول تيسير الإحصان بالزواج ، عند الاستطاعة ، حتى ليدعو المسلمين ، إلى مساعدة من يبتغى الزواج ، بالمال »(٣) .

و « الإسلام لايدع كئوس الخمر ، تهيج الدم فى العروق ، ونهود الخليعات وشفاههن الظامئة ، ونظراتهن الفاجرة، تهتف بالرجال ، ثم يكلف الرجال، أن يضبطوا نزواتهم ، ويكبحوا شهواتهم .. كلا . إنه يأخذ الأمر من أطرافه جميعاً ، ويأخذ على أسباب الفتن الطريق ، منذ الخطوة الأولى ، ثم يكلف الناس ما فى طوقهم حينذاك ، بدون مشقة ، وبدون إعنات »(٤) .

فالمسألة - إذن - ليست مسألة (نظافة مجتمع) فقط ، وإنما هى تحديد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١٠٢ — ١٠٥ .

(٣) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام (المرجع الأسبق) ، ص ٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٠ .

للحاجات، وتنظيم لها أيضا ، وارتفاع بها إلى مستوى النظافة، الذى يطلبه ، تحديداً وإشباعاً .

وهى مسألة، صار الغرب اليوم يراها ـ على لسان مفكريه ـ ضرورية، لإنقاذ مجتمعه من (العفونة) ، التى انتشرت فيه ، انتشار السرطـان ، حتى كادت أن تقضى عليه ، وكذلك صار هؤلاء المفكرون اليوم يرون ، أن (الغزل) ـ أو (الاستلطاف) ، بين الرجل والمرأة ـ « من الوجهة الخلقية، معادل للجماع ، فضلا عن أنه يشتمل على تناقص سيكولوجى كامن ، وهو أنه دعوة للذة والاستمتاع ، وإحباط للشهوة ، فى آن واحد »(١) ، ثم إن « ممارسة العفة ، فى المجتمع الشهوانى ، يفرض على الفرد توتراً شديداً »(٢)، على حد تعبير ، هذا الصوت الغربى المعاصر : المعبر عن العقل ، الذى عافت نفسه ، (عفونة) الغرب .

فإشباع هذه الحاجة ، ليس له سوى سبيل واحد ، دو الزواج ، على نحو ما وضحنا فى كتابنا السابق ، من كتب السلسلة ، وفى هذا الزواج — الإسلامى ـ يتم الاستقرار للرجل ، ويرتفع شأن المرأة ، ويتم الاطمئنان على مستقبل الأمة كله، فالمرأة ـ فى الإسلام ـ « ليست وسيلة المتعة، ولاهى إنـاء لتفريغ الشهوات ، وإنمـا هى الطرف الآخر فى الحياة ، الذى يقوم عليه بناء المجتمع » ، و « لذلك فعلاقاتهما الجنسية ، تتم على أساس المشاعر الإنسانية الطيبة، بحيث يكون التقاؤهما ، التقاء نفسين وروحين وقلبين، تربط

---

(١) فيليب هـ. فينكس : التربية والصالح العام (مرجع سابق) ، ص ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

بينهما حياة مشتركة ، وآمال مشتركة »(١) - ويتم إشباع الحاجة إلى الجنس ، بصورة تليق بكرامة الرجل ، وكرامة المرأة أيضا .

ولو تتبعنا سائر الحاجات الإنسانية ، والسبيل الإسلامى إلى إشباعها ، لوجدناه ، هو الأسلوب (الربانى) الأمثل ، الذى يراعى (إنسانية) الإنسان ، ويخلق - فى النهاية - المجتمع (النظيف) ، الذى يحس فيه كل إنسان،بالأمن على يومه وغده ، والسبيل الأمثل، لإشباع حاجاته .

---

(١) العلامة السيد حسين يوسف مكى العاملى : المتعة فى الاسلام ، دراسات حول مشروعية المتعة وبقائها - الطبعة الثالثة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ، ص ١٤ - من المقدمة .

الفصل الخامس

مجتمع متراحم

تقـــديم :

والمجتمع الربانى الإنسانى النظيف .. لابد أن يكون مجتمعاً متراحماً .

فهو تحصيل حاصل ، كما يقولون ، أو (نتيجة) منطقية ، (لمقدمات) هذا المجتمع ، وليست مجرد (وصف) له ، معزول عن مقوماته السابقة .

إلا أن التراحم قد يوجد ، نتيجة لغير الربانية والإنسانية والنظافة .

ولكن مثل هذا (التراحم) : لن يكون قائما على تلك الأسس ، التى يقوم عليها التراحم الإسلامى .

وشأن التراحم فى ذلك ، شأن كل نمط من أنماط الحياة ، الإسلامية وغير الإسلامية ، ابتداء من الطعام والشراب ، وانتهاء بممارسة السياسة ، والعلاقات بين الدول والشعوب .

فالمسلم يقوم بذلك كله، امتثالا لأمر الله، ليتمكن من أن يقوم بوظيفته، التى من أجلها خلق ، وعلى أساس تصرفه فيها ، سيحاسب يوم القيامة - بينما غير المسلم يقوم به، استجابة لحاجات نفسه ، وإرضاء للحيوان ، الكامن فى أعماقه ، والذى يدعوه إلى ملء بطنه ، وإلى الامتلاك .. وإذلال غيره، إن استطاع .

فالمنظور الربانى إلى قضية التراحم ، يختلف - على نحو ما سنرى -

أوهو لابد أن يختلف — عن المنظور غير الربانى ، إلى نفس القضية، اختلافاً يؤدى إلى اختلاف، فى أساليب (ممارسة) هذا التراحم .

ومن ثم فلابد من البدء ، بتحديد معنى التراحم .

معنى التراحم :

التراحم - لغويا - من الرحمة .

والرحمة - لغويا - هى مصدر الفعل (رحم) ، بمعنى « رق له ، وعطف عليه » ، كما تعنى الرحمة « الخير والنعمة »(١) .

ومن ثم تتفق (الرحمة) - الأصل - مع (التراحم) — المشتق منها - فى (العطف) على الغير ، ولكنهما تختلفان ، فى أن الرحمة (عطف) من جانب واحد — بينما التراحم ، (عطف) من جانبين .

وبعبارة أخرى ، فإن الرحمة تختلف عن التراحم ، فى أن الرحمة يمكن أن تكون قاصرة على من (يملك) ، بينما يتسع التراحم، ليشمل من يملك ، ومن (لا يملك) .

وعندما نقول : إن المجتمع الإسلامى مجتمع متراحم ، فإن هذا يعنى أن منظوره إلى القضية ، أوسع وأشمل ، من مفهوم أى مجتمع معاصرلها ، وهو منظور يأتى من المنظور الإسلامى ذاته ، إلى قضية الإنسان ، كما رأيناه فى أكثر من كتاب سبق ، من كتب السلسلة .

فالإنسان - فى الإسلام - ليس مجرد حيوان ، كما تنظر الفلسفات والنظم

---

(١) المعجم الوسيط — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣٣٥ .

المعاصرة إليه، وليس بمجرد مخلوق (عادى) من مخلوقات الله ، وإنما هو (خليفة) لله فى الأرض ، وهو - « بطينه الذى صيغ منه كيانه ، وبالنفخ الإلهى فيه ، خلق مكرما من الله ، بحكم ذلك (الاستخلاف) ، الذى كرمه به ربه ، يوم خلقه .

وهو - عند الله خالقه - أكثر تكريما، من كل خلق الله، حتى من الملائكة المقربين أنفسهم ، بدليل أمر الله سبحانه لملائكته ، أن تسجدله »(١) .

ومن ثم كان الإنسان - كل إنسان - فى الإسلام - جديراً بالتكريم ، حتى ولو لم يكن مؤمنا بالله ، لأن حساب المؤمن وغير المؤمن على الله ، ما لم يفسد الإنسان فى الأرض ، على نحو ما رأينا فى الفصل السابق(٢).

ومن تكريم الله للإنسان ، إرساله الرسل إليه ، تهديه سواء السبيل ، وتعود بالقافلة الإنسانية إلى طريق الله ، وإبعادها « عن الطرق الجانبية أو الفرعية ، التى يخلقها الشيطان، ليسهل عليه السيطرة على القلوب، وتحويل مسارها عن طريق الله » ، « ويكون الرسول - على هذا الأساس - مهتما بربط الإنسان بالله سبحانه ، أو مهتما بربط (العقل الإنسانى) ، بما اصطلحنا على تسميته فى مواطن مختلفة ، من كتب السلسلة ، (بالعقل الكونى) ، ربطا يعود بهذا الإنسان إلى فطرته، التى فطره الله عليها، والتى نجدها واضحة وضوحاً تاماً ، فى حياة الحيوان والنبات ، حيث نرى (الإلهام) يدفعها، إلى طريق

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ .

(٢) ارجع الى ص ١٠٦ ، ١٠٧ من الكتاب .

الله ـ أو فطرته ـ تلقائياً ، وبلا سابق تفكير »(١) .

ومن تكريمه حتى للعصاة ، أنه يكلف المؤمنين به، بدعوة هؤلاء العصاة دائما إليه ، لعلهم يعودون عن غيهم ، وبالضرب على أيديهم ، إن هم أصروا على غيهم وفسادهم وإفسادهم .

فالضرب على أيدى العصاة والمجرمين ، ليس (قسوة) ، كما يحب أعداء الإسلام،أن يصوروا كل ما هو إسلامى، وإنما هى (رحمة) بهؤلاء العصاة .

فليست الرحمة تعنى ـ دوما ـ (التدليل) ، وإنما قد تعنى الرحمة القسوة والعنف ، كما نرى فى موقف الراعى الأمين،والحاكم الصالح، بشعبه أحياناً ، وكما نرى فى موقف الأب مع ابنه كثيراً ، فحب الأب لابنه ، قد يدفعه دفعا، إلى القسوة عليه ، والعنف به .

وقد عبر الشاعر العربى ، عن هذه الحقيقة ، بقوله :

فقسا ليزدجروا ،ومن يك حازماً ∴ فليقس أحياناً على من يرحم

ومن هنا تتسع الرحمة فى المفهوم الإسلامى، اتساعاً يفوقها فى أى مفهوم آخر ، قديم أو حديث ، ويعبر ـ بحق ـ عن الأيديولوجيا الإسلامية ، التى ترى الناس جميعاً سواسية ، فى قدرتهم على (العطاء) ـ مهما كان (نوع) هذا العطاء، و (مداه) .

ومن تكريم الله للإنسان أيضا، أنه ـ سبحانه ـ لا يتغافل ـ فى تشريعاته

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : انبياء الله والحياة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

حاجاته الأساسية ، على نحو ما رأينا فى الفصل السابق ، وإنما هو (يعترف) بهذه الحاجات ، ويعمل على إشباعها ، وينظم هذا الإشباع ، تنظيما يرفع من قدر الإنسان ، ويرقى به،إلى المستوى الجدير به،من التكريم والتعظيم ، ففيه نرى العلاقة الجنسية ـ على سبيل المثال ـ ليس فيها « حقارة أو غموض» بل هى « مقدسة فى الحلال ، ولا يدنسها إلا الحرام »(١) .

ثم يأتى (تراحم) المجتمع الإسلامى ، فى قيامه على إشباع هذه الحاجات ، وفق الخطوط المقررة، التى رسمها الله سبحانه ،لتشبع على أساسها ، فى مجتمع الإسلام النظيف .

فالمجتمع لابد أن ييسر لأبنائه جميعاً فرص العمل ، وفرص الكسب الحلال ، وفرص الزواج وبناء الأسرة ، وفرص الحصول على العلم .

وهو لا يقدم ما يقدمه ، للمحتاجين من أبنائه ، رحمة بهم، بمعنى العطف عليهم ـ عطف القادر على العاجز ـ وإنما هو يقدمه من باب التراحم . . الذى نرى (الكل) فيه ، يرحم (الكل) .

فالغنى حين يعطى الفقير ، لا يعطيه رحمة به فقط ، وإنما هو يعطيه رحمة بنفسه أيضا ، بل إننى لا أغالى ، إذا قلت : إن الغنى حين يعطى الفقير ، وإنما يعطيه ،رحمة بنفسه ، قبل أن يكون رحمة بالفقير . ذلك أنه بإعطائه ، إنما يضمن أمنه ، لأن هذا الفقير ، إن لم يأكل ، فقد يتجه إلى (الجريمة) ، لسد حاجات بطنه ، وسيكون الغنى،هو المهدد فى هذه الحالة ، لأنه هو الذى يملك ، (وسيلة) سد هذه الحاجات .

---

(١) محمد علم الدين : التربية الجنسية ، بين الواقع وعلم النفس والدين ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ١٩٧٠ ، ص ٥٧ .

وقصة الخادم السارق ، التى عرضت على الفاروق عمر هنا معروفة ، فإن الخليفة لم يقم بتنفيذ حد السرقة على الخادم السارق ، وإنما (هدد) بتنفيذها فى سادته ، الذين (أحوجوه) إلى السرقة .

والغنى حين يعطى الفقير ، إنما يتقى شر حسده ، والحسد نار تحرق ما حولها ، وليس مجرد حالة نفسية ، يقف تأثيرها عند حد من تصيبه .

وكم كان جميلا ، ذلك التعبير القرآنى ، عن أولئك الذين تجوز عليهم الصدقة ، أو تجب لهم :

« .. وما تنفقوا من خير ، يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . للفقراء ، الذين أحصروا فى سبيل الله ، لا يستطيعون ضربا فى الأرض ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافا ، وما تنفقوا من خير ، فإن الله به عليم »(١) .

إن هؤلاء المستحقين ، ليسوا - بحق - أولئك السائلين ، الذين يريقون ماء وجوههم ، وإنما وصف القرآن الكريم لهم ، « ينطبق على الكرام المعوزين ، الذين تكتنفهم ظروف ، تمنعهم من الكسب ، قهراً ، وتمسك بهم كرامتهم ، أن يسألوا العون .

إنهم يتجملون ، كى لا تظهر حاجتهم ، يحسبهم الجاهل بما وراء الظواهر ، أغنياء فى تعففهم ، ولكن ذا الحس المرهف ، والبصيرة المفتوحة ، يدرك ما وراء التجمل . فالمشاعر النفسية ، تبدو على سيماهم ، وهم يدارونها فى

---

(١) قرآن كريم : البقرة - ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

حياء .. »(١) .

ويعقب الشهيد سيد قطب ، على هذه الصورة (الكلية) الكريمة ، بقوله :

« وبعد ، فإن الإسلام لا يقيم حياة أهله على العطاء ، فإن نظامه كله ، يقوم أولاً ، على تيسير العمل والرزق لكل قادر ، وعلى حسن توزيع الثروة بين أهله ، بإقامة هذا التوزيع على الحق ، والعدل بين الجهد والجزاء . . ولكن هناك حالات ، تتخلف لأسباب استثنائية ، وهذه هي التي يعالجها بالصدقة .. مرة في صورة فريضة ، تجبيها الدولة المسلمة ، المنفذة لشريعة الله كلها ، وهي وحدها صاحبة الحق في جبايتها ، وهي مورد هام من موارد المالية العامة للدولة المسلمة . ومرة في صورة تطوع ، غير محدود ، يؤديه القادرون للمحتاجين رأسا ، مع مراعاة الآداب ، التي سبق بيانها ، وبضمانة تعفف الآخذين »(٢) .

ومن ثم يكون (تراحم) المجتمع الإسلامي ، هو الثمرة الطبيعية لربانية هذا المجتمع ، ولإنسانيته ونظافته .. وفرق كبير بين هذا التراحم ، وبين ذلك الذي نراه في المجتمعات الأخرى . . رحمة في ظاهرها ، ولكنها في حقيقتها قسوة ظاهرة ، بما تزرعه في نفس الآخذ ، من إحساس بالاحتقار والمهانة ، ومن ثم لا تكون نتيجة العطاء شكراً — بل حقداً ، تجني هذه المجتمعات ثمراته ؛ فيما نراه من سرقة منظمة ، ومن عنف وقسوة ، ومن إرهاب ، يمارسها الأغنياء ضد الفقراء ، والقادرون ضد العاجزين ، كما يمارسها

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن — المجلد الأول (الأجزاء : ١ — ٤) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٣١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

هؤلاء الفقراء والعاجزون ، ضد الأغنياء والقادرين، إن وجدوا لممارستها فرصة .

الرحمة بالنفس اولا :

الرحمة ، نفحة تهب من أعماق النفس (الربانية) ، فتشع من حولها برداً وسلاماً . والتراحم نفحة ربانية أخرى ، تشع من كل مكان فى المجتمع المهتدى ، لتنشر فى كل مكان حولها ، البرد والسلام ، ولتغمر ـ بالبرد والسلام أيضا ـ كل إنسان ، يعيش فى هذا المجتمع .

ومن ثم لا يمكن أن يكون الإنسان رحيما بغيره ، إلا إذا كان رحيما بنفسه أولا ، ففاقد الشيء لا يعطيه .

ولا تعنى رحمة الإنسان بنفسه ، أن يكون أنانيا ، يدور نشاطه حول ذاته ، فليس هذا رحمة بالنفس ، بقدر ما هو قسوة عليها ، تماماً كما أن الرحمة بالآخرين ، لا تعنى ـ كما سبق ـ العطف عليهم ، وتوفير سبل الراحة لهم ، وإنما هى قد تعنى زجرهم ، وكف أيديهم .

وفى الحديث الشريف (انصر أخاك ، ظالما أو مظلوما) ، يتبين مفهوم الرحمة بالغير فى الإسلام ، على هذا النحو (الناضج)، حيث وضح الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، أن معنى نصرته ظالما ، هو (كفه عن ظلمه ، فإن ذلك نصره) ، على حد تعبير سيد الخلق، عليه أفضل الصلاة والسلام .

ومن هذا الفهم للرحمة ، يأتى مفهوم التراحم فى المجتمع الإسلامى ، على النحو الذى رأيناه منذ قليل، عند الحديث عن الأمر بالمعروف ،والنهى

عن المنكر ، فى هذا الفصل(١) .

ومن ثم فرحمة الإنسان بنفسه، تعنى ،لا أن يكون أنانياً ، بل أن يكون مؤثراً ، وهو — بإيثاره — لا يخدم غيره ، بقدر ما يخدم نفسه ، التى ينقذها من نار جهنم ،بقيامه بالتبعات الملقاة على عاتق الإنسان فى الإسلام .

ولا يعنى الإيثار هنا ، أن يعطى الإنسان غيره ، ويحرم نفسه ، لأنه مكلف بأن يبدأ بنفسه ، وبمن يعول ، فأولى الأرحام ، الأقرب فالأقرب . . ثم إنه يعطى ما يعطى ، حين يعطى ، ابتغاء وجه الله سبحانه .

فالإيثار فى الإسلام،لون من ألوان الأثرة أيضاً ، لأن الإنسان المسلم، حين يؤثر غيره على نفسه ،تحقيقاً لقول الله سبحانه ،فى وصفه للأنصار فى المدينة ، وموقفهم من المهاجرين ، الذين هاجروا إليهم من مكة ، وشاركوهم حياتهم ، عن رضا وحب وطواعية :

— « . . ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون »(٢) .

المسلم حين يفعل ذلك ، إنما يفعله ، حباً لنفسه بالدرجة الأولى . يقول الشهيد سيد قطب ، فى تعليقه على هذا الموقف الأنصارى الرائع :

« والإيثار على النفس ، مع الحاجة ، قمة عليا ، وقد بلغ إليها الأنصار ،

---

(١) ارجع الى ص ١٢٣ ، ١٢٤ من الكتاب .

(٢) قرآن كريم : الحشر — ٥٩ : ٩ .

بما لم تشهد البشرية له نظيراً . وكانوا كذلك فى كل مرة ، وفى كل حالة ، بصورة خارقة لمألوف البشر ، قديماً وحديثاً » ، «فهذا الشح ، شح النفس ، هو المعوق عن كل خير ، لأن الخير بذل ، فى صورة من الصور » ، « وما يمكن أن يصنع الخير شحيح ، يهم دائماً أن يأخذ ، ولا يهم مرة أن يعطى ، ومن يوق شح نفسه ، فقد وقى هذا المعوق عن الخير ، فانطلق إليه ، معطياً باذلا كريماً ، وهذا هو الفلاح ، فى حقيقة معناه »(١) .

فهو أثرة فى حقيقته ، يحب الإنسان فيها نفسه ، قبل أن يكون إيثاراً ، يفضل به غيره على نفسه ، لأنه — به — يريد أن يكون من المفلحين ، يوم القيامة : « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم »(٢) .

ثم إنه أثرة ، حتى بالمفهوم الدنيوى الخالص ، حين يقى الإنسان نفسه — على حد تعبير ديل كارنيجى — شر (القلق) ، وما يترتب عليه من « عسر الهضم ، وقرحة المعدة ، واضطرابات القلب ، والأرق ، والصداع ، وبعض أنواع الشلل »(٣) ،من خلال (ترفعه) عن الدنايا ، واقترابه من (المثل الأعلى) ، بحيث يحب حتى أعداءه ، لا رفقاً بهم ، ولكن رفقاً بالنفس ، لأن حب الآخرين ، بما فيهم الأعداء ، يجعل الإنسان سعيداً ، أما كراهيتهم ، فهى تدمره وتشقيه ، ولذلك فإنه يرى ، أننا « قد لا نكون جميعاً من عفة النفس ، بحيث يسعنا أن نحب أعداءنا ، فلا أقل ، والحالة هذه ، من أن

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (مرجع سابق) ، ص ٣٥٢٦ ، ٣٥٢٧ .

(٢) قرآن كريم : الشعراء — ٢٦ : ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ديل كارنيجى : دع القلق ، وابدأ الحياة — تعريب عبد المنعم محمد الزيادى — الطبعة الخامسة — مؤسسة الخانجى بمصر ، ص٥٧، ٥٨ .

نحبهم ، رفقاً بصحتنا وسعادتنا ، نحن »[١] .

وبهذا المنطق ذاته ، منطق (الأثرة) فى معاملة الناس ، رغم انها تبدو (إيثاراً) ، يدعو كارنيجى إلى الابتسامة فى وجوه الآخرين[٢] ،وإلى التماس الأعذار لهم[٣] ، وإلى الاهتمام بهم ، وخدمتهم بإخلاص[٤] ، وإلى تقديم كافة المساعدات لهم[٥] .

ثم الرحمـة بالغـير :

ومن خلال رحمة الإنسان بنفسه ، تأتى رحمة الإنسان بغيره ، فينشأ (المجتمع المتراحم) ، على نحو ما سبق .

وإذا انتقلنا إلى الرحمة بالغير ، من خلال هـذه الرحمة بالنفس ، فإننا لا بد أن نجد انتقالتها العـادية ، إلى الأقرب فالأبعـد ، حتى تشمل الإنسانية كلها .

ولم يكن غريباً ، أن يحتل (أولو الأرحام) ، المقام الأول ، فى هـذه الانتقالة ، وأن تكون (الرحمة) ذاتها ، مشتقة من (الرحم) ، الذى يربط أولى الأرحام هؤلاء ، بعضهم ببعض ، لأنها الفطرة الإنسانية ، التى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٢) ديل كارنيجى : كيف تكسب الأصـدقاء وتؤثر فى الناس ؟ — تعريب عبد المنعم محمد الزيادى — الطبعة الثانية — مؤسسة الخـانجى بمصر ، ص ٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٦ — ٥٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ — ٢٧٦ .

فطر الله الناس عليها ، وأن يكون خير الناس ، هو (خيرهم لأهله) ، على حد تعبير الرسول الكريم ، ﷺ ، وأن يتكرر الأمر بصلة الرحم ، على هذا النحو ، فى القرآن الكريم :

— « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ، فأولئك منكم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، إن الله بكل شىء عليم »(١).

— « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً .. »(٢) .

ولم يكن غريباً - كذلك — أن يرتبط قطع الرحم بالكفر ، فى كتاب الله الكريم ، تماماً مثلما ارتبطت صلة الرحم بالإيمان :

— « فهل عسيتم إن توليتم ، أن تفسدوا فى الأرض ، وتقطعوا أرحامكم ؟ أولئك الذين لعنهم الله ، فأصمهم وأعمى أبصارهم »(٣) .

ولم يكن غريباً — كذلك — أن يحتل الوالدان هنا منزلة ، دونها أية منزلة أخرى ، لأى رحم من هذه الأرحام ، بوصفهما أقرب الأرحام إلى الأبناء ، وأن يرتبط البر بهما ، بالإيمان بالله ، وأن يسبق هـذا البر بهما ، البر بأولى الأرحام الآخرين :

— « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن

---

(١) قرآن كريم : الأنفال — ٨ : ٧٥ .

(٢) قرآن كريم : الأحزاب — ٣٣ : ٦ .

(٣) قرآن كريم : محمد — ٤٧ : ٢٢ ، ٢٣ .

عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما : اف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما ، كما ربيانى صغيراً . ربكم أعلم بما فى نفوسكم، إن تكونوا صالحين، فإنه كان للأوابين غفوراً . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيراً ... وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها، فقل لهم قولا ميسوراً »(١) .

وتظهر قصة لقمان ، ضرورة هذا البر بالوالدين، حتى ولو كانا مشركين :

— « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ، أن اشكر لى ولوالديك ، إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ، واتبع سبيل من أناب إلى ، ثم إلى مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون »(٢) .

ويرى الشهيد سيد قطب ، فى تعليقه على هذه القصة ، أن « توصية الولد بالوالدين، تتكرر فى القرآن الكريم، وفى وصايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم — ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلا ، ومعظمها فى حالة الوأد -- وهى حالة خاصة ، فى ظروف خاصة — ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه . فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشىء، لضمان امتداد الحياة ، كما يريدها الله ، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما ، من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ، ومن كل ما يملكان من عزيز وغال ، فى غير تأفف ولا شكوى ، بل فى غير انتباه ولا شعور بما يبذلان ، بل فى

---

(١) قرآن كريم : الاسراء — ١٧ : ٢٣ — ٢٨ .

(٢) قرآن كريم : لقمان — ٣١ : ١٣ — ١٥ .

نشاط وفرح وسرور ، كأنهما هما اللذان يأخذان . فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة ، فأما الوليد ، فهو فى حاجة إلى الوصية المكررة ، ليلتفت إلى الجيل المضحى المدبر المولى ، الذاهب فى أدبار الحياة ، بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه ، للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة . وما يملك الوليد ، وما يبلغ أن يعوض الوالدين ، بعض ما بذلاه ، ولو وقف عمره عليهما »(١) .

وبر الوالدين ، بوصفهما يمثلان جيلا مضى ، أدى ما عليه نحو أبنائه ، على هذا النحو ، لا بد أن يمتد - فى الإسلام - ليشمل احترام الكبار جميعاً ، بوصفهم جيلا مضى ، أدى ما عليه ، نحو مجتمعه الإسلامى .

ولذلك يلفت نظر علماء النفس ، هذا الاحترام ، الذى يتمتع به الكبار ، فى المجتمع الإسلامى ، حيث « تعتمد المكانة الاجتماعية للفرد فى أى جماعة ما ، على دوره القيادى فيها ، ويعتمد فى هـذا الدور ، على ما يقوم به الفرد من خدمات ، للجماعة التى ينتمى إليها » . « وتتأثر المكانة الاجتماعية للفرد ، فى جميع مراحل حياته ، بالمعايير القائمة ، والقيم السائدة فى المجتمع ، الذى يعيش فى إطاره » .

« ولقد كان للشيوخ مكانتهم الاجتماعية ، فى المجتمع اليونانى القديم ، إذ كان منهم الفلاسفة والمؤرخون والشعراء والساسة ، وما زالت لهم مكانتهم المرعية فى مجتمعاتنا الشرقية . ولقد دعا الإسلام إلى تقديرهم واحترامهم » .

« وتضعف هـذه المكانة ، فى المجتمعات الغربية المعاصرة ، لأنها تؤمن

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (مرجع سابق) ، ص ٢٧٨٨ .

بالقوة والسرعة ،.والجاذبية الجنسية ، وهى صفات لا تتوفر لجيل الشيوخ، ولذلك تقسو الحياة عليهم ، ويهجرهم أبناؤهم ، وتضيق بهم سبل الرزق ، ويدركون أنهم أصبحوا عالة على المجتمع ، وعلى الحياة نفسها »(١) .

ويلى الوالدين فى الرحمة - فى الإسلام - كما سبق — أولا الأرحام ، الأقرب منهم فالأبعد، ومن ثم فأولو الأرحام ، أولى - بعد الوالدين - بالإنفاق والرعاية من غيرهم :

— « يسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : ما أنفقتم من خير ، فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير ، فإن الله به عليم » (٢) .

وأولو الأرحام — كذلك — أولى بالدعوة إلى سبيل الله ، وإلى الخير ، وأجدر ، فهى رحمة بهم ، أكبر وأعظم ، من رحمة الإنفاق المادى :

- « وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل : إنى برىء مما تعملون »(٣) .

وعلى النقيض من هذا الخط (الربانى) فى التراحم ، تماماً ، ذلك الخط البشرى ، الذى نراه فى بلاد الغرب المتقدمة ، التى ترفع شعار (حقوق

---

(١) دكتور فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو ، من الطفولة الى الشيخوخة — الطبعة الرابعة — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ ، ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٢) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٢١٥ .

(٣) قرآن كريم : الشعراء — ٢٦ : ٢١٤ — ٢١٦ .

الإنسان) ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن حقوق الإنسان عندها، معناها «أن يأخذ الإنسان كل ما تهوى نفسه، من مال ومتاع ونساء، بالوجه الشرعى أو غير الشرعى، سواء بسواء »(١)- أى يدور محور حياة الإنسان ، حول ذاته ، وتعميق (الأنانية) بمعناها القريب فى نفسه ، ومن ثم صارت « روح الغرب، مادية بحتة ، مظلمة كالحة »، « عقيمة، عن كل نوع من الأهداف السامية ، والأغراض النبيلة » ، « عاجزة عن أن تنجب الإيثار والحب والحنان والإيمان والإنابة والتوكل والشكر والقناعة والصبر والتماسك والعفاف والطهارة والإخلاص والوفاء والطاعة والولاء ، ولا أى معنى نبيل كريم عظيم ، ترتفع به هامة الإنسان ، فى غابة الحيوانات ، ويسمو به ، على غيره من المخلوقات »(٢) .

ولم يكن هناك فى بلاد (حقوق الإنسان) ، مكان للإنسان ، عندما يصيبه العجز ، أو تتقدم به السن ، فإن « العجائز والشيوخ فى المجتمع الأمريكى ، هم أحط قدراً ، وأصغر شأنا ، من أى مخلوق آخر، حتى القطط والكلاب، فلا تستطيع عائلة أمريكية ، أن تتحمل هذا العذاب الأليم ، وتشاركهم فى حياتهم العادية ، والروتين اليومى ، فضلا عن إكرامهم ، وإسداء الخير إليهم .

إن ما ينفقه الأمريكيون ، على دواجنهم، وعلى كلابهم (بوجه خاص) ، قد يكفى — بعضه — للعناية بعجائزهم وشيوخهم والبر بهم ، ولكن المشكلة

---

(١) محمد الحسنى : الاسلام الممتحن — تقديم المفكر الاسلامى الكبير، أبو الحسن الندوى — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٠ ، ١١١ .

ليست مشكلة المال ، إنما هى مشكلة الدافع ، مشكلة القلب ، القلب المادى النفعى المتحجر القاسى » . « إنهم يوصون لكلابهم بمبالغ باهظة ، بينما لا يرضون لهؤلاء العجائز والشيوخ ، عيشا هادئا فى منازلهم ، ولا ذنب لهم ، إلا أنهم عجزوا عن العمل والإنتاج ، وفقدوا الصحة والشباب ، وأصبحوا عالة على أبنائهم (الأشراف) »(١) .

« إنها صورة حية لهذه المستنقعات البشرية ، والأوحال الإنسانية ، التى لا يحيا فيها إلا الشهوات الرخيصة ، واللذة الجسدية الفانية ، والنزعات الجنسية الهابطة الساقطة »(٢) ، سواء فى الولايات المتحدة ، أو فى « انجلترا والنرويج والسويد والدانمارك وألمانيا واليابان أيضا »(٣) .

وإلى بعض هذه المظاهر ، أشرنا فى كتابنا السابق ، من كتب السلسلة ، عند من حديثنا عن مفهوم الأسرة فى الغرب ، ومدى اختلافه عنها فى الشرق ، ولو أنها كانت إشارة سريعة ، يقتضيها المقام هناك(٤) .

هو التراحم الانسانى :

هدم الإسلام - بظهوره - مجتمعات جاهلية قديمة كثيرة ، وأقام - على أنقاضها - مجتمعه الإسلامى القوى الحى .. الجديد .

وعلى (أكتاف) الإنسان ، أقام الإسلام مجتمعه الجديد ، بدلا من (أشلاء) الإنسان ، التى قامت عليها المجتمعات الجاهلية ، قبله — ولاتزال تقوم عليه — كما سبق — حتى الآن .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .
(٤) دكتور عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١٠٢ — ١٠٥ .

ولقد كان الإسلام قوة هائلة طاغية ، اقتحمت أول ما اقتحمت — القلوب المغلقة ، فقلبت — حال الإنسان رأسا على عقب ، بهدمها معاقل وقلاعا فى القلوب ، لتقيم — مكانها — معاقل وقلاعا جديدة .

كان شرب الخمر عادة جاهلية ، ضاربة بجذورها فى أعماق الكيان الإنسانى ، فجاء الإسلام واقتلعها من جذورها .

وكان وأد البنات عادة جاهلية .. فقضى عليها .

وكان للمرأة وضعها المنحط .. فرفع من شأنها .

وكان للنزعة العصبية أو العنصرية سلطانها ، فحطمها ، وقضى على هذا السلطان .

ولقد كان الإسلام — فى قوته العارمة تلك — قادراً على أن يقيم مجتمعه الإسلامى الجديد ، على أساس الإيمان وحده ، محطما تلك النزعة الجنسية أو العنصرية أو العرقية ، تماماً كما فعلت المسيحية ، التى نسبت كتبها المقدسة إلى السيد المسيح قوله :

— « إن كان أحد يأتى إلى ، ولا يبغض أباه وأمه ، وامرأته وأولاده ، وإخوته وأخواته ، حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا . ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً »(١).

— « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض . ماجئت لألقى سلاماً ،

---

(١) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الرابع عشر : ٢٦ ، ٢٧ .

بل سيفا . فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها . وأعداء الإنسان أهل بيته . من أحب أبا أو أما أكثر مني ، فلا يستحقني . ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني ، فــلا يستحقني . ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني . ومن وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلي يجدها »(١) .

ولكن الإسلام لم (يحطم) النزعة القبلية الجنسية العرقية ، لا لأنها استعصت عليه ، فما استعصى عليه شيء ، كما يثبت تاريخه ، على نحو ما أوضحنا في بعض الجوانب ، ولكن لأن هذه النزعة (طبيعية)، أصيلة في الإنسان ، او هي (فطرة) الله ، التي فطر الناس عليها .

وكل ما فعله ، هو أنه (هذبها) ، على النحو الذي (هذب) به ، كثيراً من العادات والتقاليد والأخلاق الجاهلية ، كالشجاعة والكرم والنخوة وحفظ العهد ، وغيرها .

والتراحم موجود في المجتمعات الإنسانية ، منذ أقدم عصور الحياة الاجتماعية الإنسانية على الأرض ، ولكنه كان تراحما ، يعكس نظرة خاطئة إلى الناس والأشياء ، ويقوم على أسس ، تبتعد قليلا أو كثيراً ، عن هذه (الفطرة) الإنسانية .

ومن ثم كان هذه التراحم ، تراحماً مبتوراً ، ظاهره تراحم ، وباطنه قسوة مدمرة ، إما للنفس ، وإما للغير .

فلما جاء الإسلام ، أقام تراحمه هذا ، كما أقام بنيانه كله ، على أساس

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح العاشر : ٣٤—٣٩ .

هذه (الفطرة) الإنسانية ،ومن ثم كان هذا التراحم،ولايزال ، هوالتراحم ، منذ الأيام الأولى لظهور الإسلام ، وحتى اليوم ، رغم (الضباب) ، الذى يخيم على العقول والقلوب ، ورغم الحكومات (المفروضة)، على هذا العالم الإسلامى ، والتى تفرض على شعوبها هذا الضباب، وتزيد من حجمه ،حتى تظل « شخصيتنا شخصية مستعارة ، استوردناها من الغرب ، كما استوردنا الغسالات والأدوات المنزلية ، وهى شخصية ملونة ، تجمع بين المزاج الفرنسى ، والطابع الأمريكى ، والسمة الإنجليزية ، والسلوك الروسى »(١)، وحتى تظل هذه الشخصية ،« شخصية موزعة مبعثرة »، « مائعة ، تميل تارة إلى هذا ، وتارة إلى ذاك » ، بلا « شخصية دينية وسياسية واجتماعية ، يعرفها الجميع » ، فى الوقت الذى نرى فيه « للمعسكر الغربى الرأسمالى شخصية دينية وسياسية واجتماعية ، يعرفها الجميع ، وللمعسكر الروسى شخصية أخرى مميزة ، واضحة الأهداف والمعالم ، وللمعسكر الصينى الشعبى شخصية ثالثة ، يخاف منها المعسكران »(٢) .

والتراحم الإسلامى، المتفق مع (الفطرة) الإنسانية ،هو ذلك التراحم ، الذى رأيناه يسلك المسلك الطبيعى ، فيبدأ رحمة بالنفس ، ثم ينمو ، متجها إلى الغير ، الأقرب فالأبعد ، حتى يشمل الإنسانية كلها .

والتراحم فى النظم الأخرى ، إن وجد ، يبدأ رحمة بالنفس .

ولكن الرحمة بالنفس فى الإسلام ، تنمو تراحماً وحباً ومودة ، بينما هى فى النظم الأخرى ، تتحول أنانية وجشعاً . . . وحقداً أسود .

---

(١) محمد الحسنى (مرجع سابق) ، ص ٢٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

وليس ذلك بالأمر الغريب،فالحياة فى النظم والفلسفات الأخرى، تبدأ بالحياة الدنيا ، وتنتهى عندها ، ومن ثم تكون رحمة الإنسان بنفسه ،معناها أن يملأ بطنه ، ويشبع جنسه ، ويهضم غيره ، ويفسد مجتمعه ، بينما الحياةفى الإسلام، ممتدة ، لتشمل الدنيا والآخرة ، فهى « حياة واحدة ،شق منها فى الدنيا ، هو أقلهــا شأنا ، ولكنه أكثرها خطورة ، لأنه على أساسه يتحدد مصير الإنسان فى الآخرة - التى من أجلها يجب أن يعمل العاملون حقاً »(١).

يضاف إلى ذلك ، أن الإنسان فى ظل النظم والفلسفات المعاصرة ، لا يحس إلا بذاته ، وبعدها الطوفان ، بينما فى الإسلام ،نرى « المؤمن يحس إحساساً عميقاً بعبوديته لله ، وهو يستشعر الله سبحانه فى كل حالاته » ، « وإحساس المؤمن العميق بالله ، يقيم فى نفسه (مصالحة) بينه وبين الكون ، و (مصالحة) بينه وبين الناس ، حتى ولو كانوا له أعداء »(٢) .

وقد تكون هناك نظم دينية ، غير الإسلام، تتعدى هذه الحياة الدنيا ، إلى الحياة الأخرى ، ولكنها تصل إلى نفس النتيجة ، التى تصل إليهــا النظم والفلسفات الأخرى ، المادية غير الدينية ،وذلك لأنها تسلك بمعتنقها ، إلى الآخرة، طريقاً وعراً، غير ذلك الطريق الممهد السهل المريح السهل البسيط ، الذى يسلكه المسلم إلى أخراه .

فهو يسلك طريقه إلى الآخرة ، فى المسيحية - على سبيل المثال — على

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١٢٤ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

نحو ما سبق ـ على حساب الحياة والأحياء ، وعلى حساب الرغبات والنزعات الطبيعية ، وهو أمر غير ممكن ، بالنسبة لإنسان ، يعيش ـ بالفعل ـ على هذه الأرض .

والآخرة ـ عند اليهود ـ على سبيل المثال أيضا ـ لا وجود لها ، في آخرة مرتجاة ، على النحو الذى تفهم عليه ، فى أى دين آخر . . . وإنما البداية والنهاية — عندهم — هى الحياة الدنيا ... وهى حياة لليهود وحدهم .. وبعد اليهود .. الطوفان .

وهو أمر مستحيل ، بالنسبة لقوم يعيشون بين غير اليهود ، أو هم مضطرون إلى أن يعيشوا بينهم .

أما آخرة المسلم ، فطريقها الدنيا ، والدنيا خلقها الله ـ عنده ـ للمسلم والكافر .. ولكل كائن حى .. على هذه الأرض .

ومن ثم كانت التراحم الإسلامى ، يشمل كل الناس والأشياء ... ولا يقف عن حد المسلمين وخدم .

وكان ذلك ، هو مناط تفضيل المسلم ، على غير المسلم .

وللمسلم ان يفخر بمجتمعه

جرت العادة مع هـذه السلسلة ، أن يكون كتابها الذى ينشر اليوم ، قد كتب منذ مدة طويلة ، قد تقترب من العام ، حيث أننى أحب أن يكون لى فيها (رصيـد) مخزون دوماً . . يتيح لى ،أن أقلب صفحات الكتاب الذى سينشر من كتبها ، مرة ومرة ، فأدخل عليه من التعديلات ما أراه،وأعايش أفكاره مرة ومرة ، حتى يخرج هذا الكتاب ، بصورة أقرب إلى الكمال ، الذى أتصوره .

ومعنى ذلك ، أن هذا الكتاب — التاسع — من كتب السلسلة، الذى يصدر مع مطلع العام الأخير ،من القرن الرابع عشر الهجرى — ومع مطلع العام الأخير من العقد الثامن من القرن العشرين ، مكتوب منذ حوالى سنة، وأنه فى خلال هـــذه السنة — قد شهد أخطر مجموعة من (المتغيرات) المحلية والعالمية ، شهدها كتاب ، من كتب هذه السلسلة .

لقد شهدت الفترة ، بين كتابته ، والدفع به إلى المطبعـة ، سلسلة طويلة من (الثورات) ، تبدو مفككة ، لا رابطة بينها ، متناثرة هنا وهناك ، على (خريطة) الكرة الأرضية ، ولكنها فى حقيقة أمرها ، متصلة بأمر واحد ، هو (الإسلام) ، والحرب الضارية المتجهة إليه ، من الشرق والغرب معاً ، بهدف (إجهاض) تجربته ،التى بدأت — بالفعل — تشق طريقها ، من باطن الكتب ، إلى عالم النور .. عالم الحياة المائجة المضطربة .

ومن هـذه الثورات ، ثورات إسلامية ، رائدة ورائعة . . كالثورة الإيرانية ، التى قاد مسيرتها آية الله الخمينى ، من منفاه فى باريس ، وكالثورة الأفغانية المجاورة لها ، ضد الماركسية والماركسيين ، وكالثورة الإسلامية

الرائعة فى باكستان ، التى ثارت — هذه المرة — بغير سلاح ، استجابة لخطى التغيير نحو الإسلام ، فى العالم الإسلامى .

ومن هذه الثورات — أيضاً — ثورات ضد الإسلام ، تتخذ من (المتأسلمين) ، واجهات لها ، تصل — من خلالهم — إلى ما تريد الوصول إليه ، من إجهاض الإسلام ، كما حدث فى أوغندا .. ضد عيدى أمين .

ومنها — أيضاً — ثورات ، قد لا يعنينا أمرها كثيراً ، كثورة نيكاراجوا ، فى أمريكا اللاتينية ، ولكننا — لو فتشنا — لوجدناها تعنينا أيضاً ، من حيث اتصالها بالولايات المتحدة — أو الاتحاد السوفيتى — وكلاهما يعلن الحرب على الإسلام ، ضارية مكشوفة ، لا مواربة فيها ، وهو — فى هذه الحرب — يتخذ له الأعوان والأتباع ، من الحكام والحكومات .. هنا وهناك .

* * *

ولقد عودتنا الحياة فى العالم الثالث ، أن (يستغفل) عدد من المغامرين فى الجيش ، السلطة القائمة ، و (يقفزوا) إلى السلطة ، ثم يعلنوا (شعبية) الحركة ، بلا خبرة سابقة بالحكم ، وبلا أرضية علمية ، تمكنهم من تحمل تبعاته .. ثم تكون النتيجة .. (الخراب) .

وللخراب — على مستوى الأفراد ، وعلى مستوى الأمم والشعوب — مقدمات ، يكاد يتفق عليها علماء الاجتماع والتاريخ والحضارة .. اتفاقا .

ومقدمة هذه المقدمات على الإطلاق ، أن الحكم المدنى فى هذه البلاد ، قد وصل إلى درجة من التهتك والضعف والغفلة ، بحيث فقد احترامه وهيبته ، فى قلوب من يحكمهم ، كما فقد احترامه وهيبته فى قلب جيشه ، فأغرى فئة

منه ، بالانقضاض عليه ، تاركا (العسكرية)، التى هى فى حد ذاتها شرف ، كان يجب أن يفضله ، وينتسب إليه، هؤلاء العسكريون ، لو أنهم وجدوا أنهم يخدمون — بعسكريتهم — (أهدافا نبيلة) بالفعل .

ثم تلى هذه المقدمة ، نتائج ، ومقدمات فى الوقت ذاته — منها أن هؤلاء العسكريين عادة ، قد اعتمدوا فى نجاح حركتهم، على قوى أجنبية ، مدت لهم يد العون ، حتى تنجح حركتهم ، على نحو ما رأينا فى كتابنا الرابع ، عن الإنسان(١) ،ومن ثم صاروا — وهم يدرون أو لا يدرون — (عملاء)، لقوى أجنبية ، صارت — فى ظلهم — توجه أمور بلادهم ، على نحو ما تحب ، لا على نحو ما يجب .

ومن هذه النتائج والمقدمات — أيضاً — أن هذه النظم الجديدة ، تبدأ عهدها، واعدة بالعودة إلى الثكنات ، بعد إصلاح الأحوال ، ثم سرعان ما يغريها (الضوء) ،وتغريها (السلطة)،فتبدأ فى سياسة الإعزاز والإذلال ، والإغداق والحرمان . . وتكون الفرصة مناسبة للتافهين ، الذين لا يجدون لهم مجالا، فى جو نظيف ، ويكون مجالهم هو . . مثل هذا الجو ...الموبوء . .

وتظهر — فى أفق الحياة العامة فى هذه البلاد — مصطلحات (أهل الثقة) ، و (أهل الخبرة) ، وتكون الفرص من حق (أهل الثقة) ، بينما تكون السجون عادة، من نصيب (أهل الخبرة) ، إلا من استطاع منهم، أن يفقد احترامه، لنفسه ولخبرته ، ووجد له مكانا بين (أهل الثقة) .

كما تظهر — فى أفق هذه الحياة — عادة — عبارات الوطنية والثورية والقومية والتقدمية ، وغيرها من الألفاظ البراقة ، التى تطلق — عادة —

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٧ وما بعدها .

على (أهل الثقة) ، كما تظهر — فى مقابلها — عبارات الخيانة والعمالة والرجعية والاستغلال ، وغيرها من الألفاظ البراقة أيضاً ، والتى تكال بلا حساب ، لمن لا يساير النظام ، ويصفق له . . مع المصفقين .

ومن أغرب الغرائب بالفعل ، أن يكون — من بين هؤلاء الخونة والعملاء والرجعيين والمستغلين — بعض ذوى التاريخ النضالى ، الذين رفضوا أن يكونوا من (أهل الثقة) ، وأن يكون من بينهم بعض من شاركوا فى إنجاح الانقلاب، والإطاحة بالسلطة ، ولكنهم كانوا من(ذوى الضمائر الحية)، وممن يحترمون ما وعدوا به ، فآثروا عودة الجيش إلى ثكناته ، وترك سياسة ، لمن هم أقدر على تسيير أمورها .

وأغرب من ذلك بالفعل أيضاً ، أن يكون من بين الوطنيين والثوريين والقوميين والتقدميين ، قوم كانوا من أقرب المقربين إلى السلطة،التى أطاح بها الانقلاب ، ولكنهم استطاعوا أن يكونوا من (أهل الثقة) ، بالنسبة للسلطة الجديدة ، تماماً كما كانوا من (أهل الثقة)، بالنسبة للسلطة التى انهارت .

وقد يأتى بعد الانقلاب ، انقلاب أو أكثر ، ولكن أمثال هؤلاء، يستطيعون أن يكونوا فى كل مرة . . من (أهل الثقة) ، وأن يجدوا لهم مكانا ، تحت ظل النظام . . الجديد .

إن لديهم مؤهلات (أهل الثقة) دوماً ، لأنهم يستطيعون أن (يأكلوا على كل مائدة) ، وهى (قدرة) لا تتوفر لكل الناس ، ولكنها تتوفر لهؤلاء — وهى مؤهل أساسى ، من مؤهلات الحياة ، فى ظل هذه النظم الغريبة .

ويغرى جو الحكم الجديد ، بانقلاب ثان .. وانقلاب ثالث .

وتزيدالدقابة البوليسية ، محافظة على (العرش) ، وتصيدا للطامعين الجدد ، فيما رزقه الطامعون السابقون .

وتخرب موارد البلاد المحدودة إما بوضع (أهل الثقة) فى موضع (القيادة) ،ومكانهم الطبيعى فى الحياة ،هوأن يكونوا فى (الذيل) — وإما بانتهازهم الفرصة ، لملء الجيوب - وإما لأن السلطة غير الآمنة نفسها ، ترى من الأسلم ، أن تؤمن مستقبلها ومستقبل ذويها ، لا بالمخابرات ورجال المباحث وأهل الثقة وحدهم ، ولكن بإيداع بضعة ملايين من العملات الصعبة، فى البنوك الأجنبية، قبل أن تحين ساعتهم على أيدى غيرهم ، كما حانت على أيديهم ، من قبل ، ساعة السابقين .

وتستمر المقدمات ، وتتبعها النتائج ، فلا تنتقل البلاد ، من الخراب ، إلا إلى ... خراب أشد .

و (باسم) الشعب المسكين ، يجوع الشعب المسكين ، وتزهق أرواح أبنائه ، ويذبح أعز هؤلاء الأبناء ، على مذبح بعض أبنائه الآخرين ، الذين قادتهم (العمالة) ، إلى مركز الصدارة ، ليكونوا مجرد (دمى) ، تحركها أصابع من أتت بهم إلى السلطة ، من خارج الحدود ، لتقضى هذه الأصابع - من خلالهم - حاجة ، ثم لتقذف بهم إلى هذه المذابح ، عندما ينتهى دورهم .. كما حدث مع نور الدين تراقى ، وحفيظ الله أمين ، فى أفغانستان ، وكما حدث — أيضاً — مع شاه إيران ، وإن كانت الأصابع هنا . . غير الأصابع هناك .

* * *

بدأت كتابة السطور الأولى من هـــذا الكتاب ، مع بداية الانتفاضة الشعبية الجارفة ، ضد حكم الشاه — أكبر عميل لأمريكا وإسرائيل ، فى عالمنا المعاصر — فى إيران .

والثورة الإيرانية — التى بدأت بهذه الانتفاضة الشعبية الجارفة — أعمق وأخطر ثورة شعبية ، ظهرت فى التاريخ كله .

وكان المعاصرون للثورة ، والمهتمون بأمرها وأمر إيران ، يتابعون أخبارها ، فى دهشة ، وكان منهم من يتهم قادتها — فى منفاهم — بالجنون ، لأنهم لم يكونوا يرون مبررا لتشدد هؤلاء القادة — فى منفاهم — على هذا النحو ، ضد الشاه ، وحكومته ، وجيشه ، وأجهزة مخابراته ، والدول الكبرى ، التى تقف من وراء ذلك كله .

ثم تتابعت الأحداث ، لتبين أن العالم كله ، كان هو المجنون ، وأنه لم يكن هناك من عاقل فى هذا العالم ، سوى هؤلاء القادة ، الذين سارت الأحداث ، وفق ما (تشددوا) فيه ، لا وفق ما (تشبث) به غيرهم .

ولقد هزت الثورة الإيرانية — المسلمة — العالم المتقدم ، بشرقه وغربه ، كما هزت فى المنطقة عروشاً كثيرة ، رأت الخطر يزحف إليها ، بسبب هذه الثورة الفتية ، ودلالاتها .

ولقد هزت الثورة الإيرانية الإسلامية الفتية ، العالم المتقدم ، لأنها خيبت آماله ، فى أجهزة مخابراته ، وفى عقوله الإلكترونية ، التى تعتمد هذه الأجهزة عليها ، والتى أجمعت على أن ما كان يحدث فى إيران ، كان مجرد (انتفاضة) ، توشك أن تخمد ، شأنها فى ذلك شأن الانتفاضات الكثيرة ، فى هذا العالم الثالث على عمومه ، وفى العالم الإسلامى على وجه الخصوص ، وشأن تلك الانتفاضة الإيرانية السابقة ، التى سبقت هذه الانتفاضة الأخيرة ، بربع قرن من الزمان ، على يد آية الله كاشانى ، فى مطلع الخمسينات .

وفى الانتفاضة السابقة ، نجحت مخابرات الدول الكبرى ، الشاه ،

المخلوع فى الانتفاضة الأخيرة ، بأن (يحنى رأسه) للعاصفة ، بمغادرة إيران ، ليعود إليها — بعـــد أن تنتهى العاصفة — وقد درس أسبابها ، فيقوم (بتقييم) الموقف ، ويصفى حركة (فدائيان إسلام) ، التى قادت الانتفاضة ، ويعدم زعيمها نواب صفوى ، ويلقى برئيس الوزراء — محمد مصدق — وقتها - فى السجن ، ثم ليعيد تنظيم مخابراته (السافاك) ، ويزودها بأحدث وسائل التجسس ، ويربطها بأجهزة التجسس المشهود لهـا بالكفاءة ، والتى كان نظامه يخدم بلادها ، وعلى رأسهـا المخـابرات الأمريكية ، ومخابرات إسرائيل .

ولقد ترك الشاه المخلوع إيران هذه المرة ، على أمل أن يعود إليهـا ، بعد أن تهدأ العاصفة ، ولكن العاصفة لم تهدأ هذه المرة ، وإنمـا واصلت الثورة مسيرتها ، فإذا بها هى التى تطلبه ، لمحاكمته ، على ما اقترف من جرائم ، وإذا به هو الذى لا يريد أن يعود ، رغم أن أقرب المقربين إليه ، كانوا هم أسرع الناس ، إلى التنكر له .

ولم تستطع بلايين الدولارات ، التى سرقها من خزانة شعب إيران ، أن توفر له مكاناً ، يأوى إليه ، ويقضى فيه ليلة من النوم الهـادىء ، كتلك الليلة ، التى ينامها أى فقير مغمور .. على وجه الأرض ، فى أية بقعة من بقاع العـالم .

* * *

ولقد كانت أسرع الدول إلى الاعتراف بالنظام الجديد ... الاتحاد السوفيتى ، صاحب الحدود المشتركة مع إيران ، وصاحب الامتيازات الكثيرة ، فى إيران الشاه ... لعله يحظى ببعض هذه الامتيازات ، فى إيران الخمينى . وزاد الاتحاد السوفيتى من (كرمه) ، فوصف النظام الجديد — وهو نظام دينى يكرهه بطبعه — ووصف الحكومة الجديدة — وهى

حكومة إسلامية، أعلنت عن نفسها بصراحة، تزداد كراهيتهـا لهـا لذلك ... وصف النظام والحكومة ، بالتقدمية والثورية ، وغيرها من الصفات ، التى يضنون بها عادة ، إلا على النظم الاشتراكية ، والحكومات الموالية لهـا .

ولم تقل مسارعة الولايات المتحدة إلى النظام الجديد ، عن مسارعة غريمها — الاتحاد السوفيتى ، فها هى (تغلق باب) الولايات المتحدة ، فى وجه ، مجاملة لهذا النظام الجديد ، ثم تسارع إلى الاعتراف به ، لعل حاضرها مع الثورة ، يغفر لهـا ماضيها مع الشاه وزبانيته ، ضد إيران وشعبها .

ويكون النظام الجديد .. الإسلامى .. أذكى من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة معاً ، فيعلن عن وجهه الإسلامى : منذ البداية ، ويصر على هذا الوجه ، فتقع الدول الكبرى فى حيرة ، ثم تضطر إلى (المسايرة)، بل وإلى زيادة الانحناء ... لهذا النظام الجديد .

ولقد كانت الثورة الإيرانية ، شعبية ، منذ بدايتهـا ، ولم يكن آية الله الخمينى يتحدث — فى منفاه فى باريس — إلا باسم شعب إيران المسلم .. ومن هنا كانت قوته ، وصرامته ، تعبيراً عن ثقته بربه ، وبالشعب المسلم ، الذى يتحدث باسمه .

وهنا الفرق الجذرى ، بين هذه الثورة الإيرانية الخمينية المسلمة ، وبين الثورة الفرنسية (١٧٨٩ م) ، التى يؤرخ الغرب بها ، ويعتبرها حداً فاصلا، بين التاريخ العالمى القديم ، والتاريخ العـالمى المعاصر ، لأوربا ، وللعالم كله .

لقد كانت الثورة الفرنسية ، ثورة شعبية ، ولـكنها كانت غير مضبوطة ولا محكومة ولا موجهة ، ومن ثم كانت (الأحداث) ، هى التى توجه

خطواتها ، وتدفعها نحو مستقبل ، لا يستطيع أحد أن يتنبأ به ، وكل مهارة (الثوار)، فى هذه الثورة ، هى أنهم استطاعوا أن (يركبوا الموجة) ، ومن خلالها ، وصلوا إلى السلطة ، ثم بدءوا فى توجيه الأحداث .

أما الثورة الإيرانية ، فهى ثورة شعبية ، إلا أنها مضبوطة ، محكومة ، موجهة ، منذ البداية ،ومن ثم كان قادتها ،هم الذين يوجهون الأمور ، من منفاهم هناك ، بعيداً عن أرض إيران ، ثم انتقلوا إلى أرض إيران ، ليوجهوها عن قرب ، إلى حيث يريد الشعب الإيرانى المسلم ، ويريدون هم ، ويريد الإسلام ، مثل الجمع الأعلى فيها .

* * *

ولقد كانت الظروف تربطنا بإيران ربطا أقوى ، بسبب (الإسلام) ، الذى يربط بيننا وبينها ، وبسبب العلاقات التى تربط بيننا وبينها . . ولو أنها كانت كلها ،علاقات سيئة ، لا يعود سوءها إلى إيران ، وإنما يعود إلى الشاه ذاته ، الذى عاهد نفسه،على أن يتم رسالة والده فى محاربة الإسلام ، وفى ربط إيران،بالغرب الصليبى الحاقد ، ثم ربطها — نتيجة لذلك — بإسرائيل ، طوال فترة الحرب بيننا وبينها .

ومن ثم كرهت شاه إيران منذ البداية ، فلقد كنت طالباً بالجامعة ، أيام كانت الثورة الأولى مشتعلة ، وكنت أتلقى أنباء إطفائها ، فكنت أزداد له كرهاً ، ثم جاءت حروب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، وسمعت عن مناصرته لإسرائيل ، ومحاربته لنا ، لا لشىء، إلا لأننا مسلمون . . فزادت كراهيتى له .

ومع ذلك ، فقد كان الشاه من رجال السياسة والحكم ، له وجهة نظره .

ومن ثم فالثورة ضده ، ثورة ضد حاكم جار وظلم ، وهى ـ على ذلك ـ غير الثورة الشعبية فى أوغندا ، أو أفغانستان ، التى هى ثورة فى كل منهما ، على حكم عسكرى عميل ، تسلل إلى السلطة ، فى غيبة الحكم المدنى السليم .

ولندع الثورة الأفغانية المنتصرة بإذن الله ، إلى ثورة أخرى شعبية بالفعل ، استطاع أعداء الإسلام أن يركبوها ، ليوجهوها الاتجاه المضاد للإسلام ، ولتصبح حربا صليبية شعواء . . وهى الثورة الأوغندية .

وعيدى أمين ، الذى سمعنا عن أوغندا من خلاله ، تولى السلطة ، فى أوغندا ، خلفا لميلتون أوبوتى ، إثر انقلاب عسكرى ، فى ٢٥ يناير ١٩٧١ ، ثم حكم أوغندا حكم الفرد ، ونصب نفسه ، رئيساً لأوغندا مدى الحياة . .

ولقد كان حكمه شرا على أوغندا ، شأنه فى ذلك، شأن كل العسكريين، الذين تولوا الحكم فى بلاد العالم الثالث ...

وهو — للأسف — مسلم ، ولكننا لا ننسى أن كال أتاتورك ، ومحمد رضا بهلوى ، وجمال عبد الناصر ، وشمس بدران ، وحمزة البسيونى ، وحافظ الأسد ، وغيرهم وغيرهم ، مسلمون أيضاً .

وفى الوقت الذى كانت تصرفات رضا بهلوى فى إيران ، تدعو كل إنسان إلى (كراهيته) ، كانت تصرفات عيدى أمين فى أوغندا ، تدعو كل إنسان إلى (احتقاره) ، بسبب تصرفاته(الصبيانية) الكثيرة، التى كان آخرها ، تلك الدعوة التى وجهها إلى غريمه ، الصليبى الحاقد ، يوليوس نيريرى ، حاكم تنزانيا ... إلى (منازلته) .

ويبدو أن عيدى أمين ، قد دعا الشعب الأوغندى كله إلى هذه المنازلة ، قبل أن يدعو إليها يوليوس نيريرى ، وقد كان الصليبى الحاقد نيريرى ، من

الذكاء ، بحيث فتح تنزانيا للأوغنديين المضطهدين ، ليضرب بهم غريمه الأحمق ، تحت لافتة (جبهة تحرير أوغندا) ، التي أطاحت به ، وأتت بغريم أوغندي مسلم ، حسن السمعة ، طريد له ، هو الأستاذ الجامعي ، يوسف لولي ، البالغ من العمر — وقتها — ستة وستين عاما .

وقد أدى يوسف لولي مهمته ، بالقضاء على عيدي أمين .. ثم جاء دور يوسف لولي ، ليزاح من الطريق ، وليبدو هول المأساة ، التي خطط لها يوليوس نيريري بذكائه ، وشارك فيها عيدي أمين ، بغبائه ، كما شارك فيها يوسف لولي ، بسذاجته ..

وهو نفس ما حدث من قبل في زنجبار المسلمة ، في تلك المذبحة الشهيرة ، التي تمت للمسلمين فيها سنة ١٩٦٢ .. وما يزال يحدث على أرض تنجانيقا ، ذات الأغلبية المسلمة .. وما يحدث على الطرف الآخر ، في أفغانستان ، بعد أن قتل الاتحاد السوفيتي عميليه القديمين ، نور الدين تراقي ، وحفيظ الله أمين ، وأتى إلى السلطة بعميل جديد ، هو بابراك كارميل ، الذي لابد أن يكون مصيره ، كمصير سابقيه ، سواء على يد الاتحاد السوفيتي ، أو على يد الشعب الأفغاني المسلم .. المنتصر بإذن الله .

وقد كشف المخطط — مخطط يوليوس نيريري — عن وجهه الصليبي الحاقد ، بطرد الساذج يوسف لولي ، ثم بمطاردة المسلمين في أوغندا .. وهو نفس المخطط ، الذي نفذه نيريري في زنجبار ، في يناير ١٩٦٤ ، بعد أقل من عام ، من تحررها من انجلترا ، والذي راح ضحيته ، ١٥ ألف قتيل ، وتسعة آلاف جريح ، وما يقرب من ألفي عذراء مسلمة ، يهتك عرضها .. فهذه هي الصليبية ، كما تعلمناها من كتب التاريخ ، القديم والحديث ، على السواء .

ومسكين عيدى أمين ، ومن يسير سيره ، مثله الأعلى ، هو أن يصل إلى (كرسى) العرش ، ثم يحافظ على هذا الكرسى ، ثم تكون النتيجة ، أن يخسر الكرسى ، ويخسر نفسه أيضاً ، ويعيش طريداً ، كما يعيش الآن ، محمد رضا بهلوى ، لا تستطيع بلايينه ، أن توفر له لحظة واحدة ، من نوم هادىء .

ومسكينة — قبل هؤلاء وبعدهم — تلك الشعوب ، التى ابتليت بهؤلاء التافهين من ابنائها، فضيعوها ، قبل أن يضيعوا أنفسهم . . وكانت النتيجة : آلاف القتلى والجرحى ، فى إيران بهلوى ، وفى أوغندا عيدى أمين ، وفى أفغانستان نور الدين تراقى ، وحفيظ الله أمين ، وبابراك كارميل .

* * *

ولقد كانت الثورة الإيرانية المسلمة ، تسير — منذ البداية — فى طريق مضاد ، للطريق الذى اختاره عيدى أمين .

ومن ثم انفردت — دون سواها — بهز العالم ، وبهز عروش المنطقة ، التى تفيض بأمثال عيدى أمين ، ومحمد رضا بهلوى ، ونور الدين تراقى ، وحفيظ الله أمين ، وبابراك كارميل . . لأن هؤلاء وهؤلاء ، من أعداء الإسلام فى خارج حدوده ، و (المتأسلمين) فى داخل هذه الحدود ، كانوا يتصورون الإسلام ، وقد تحول إلى (جثة هامدة) ، خالية تماماً من الروح ، كل ما تستطيع أن تفعله ، هو أن توحى فى نفوس أعدائه ، والحاقدين عليه ، فى الشرق والغرب على السواء ، بالشماتة ، وفى نفوس المؤمنين به ، بالحسرة . . فإذا بهذه (الجثة الهامدة) ، فياضة بالحياة ، مليئة بالحيوية ، قادرة على الفعل والتأثير — فى تحليل المحللين العالميين ، الحاقدين على الإسلام ، والحقد يأكل قلوبهم ، والمرارة تحرق أكبادهم .

وإلا ، فكيف حدث ما حدث ، في إيران ، وفي باكستان ، وفي أفغانستان ؟

وزاد من المرارة ، في هذه القلوب الحاقدة ، أنه بينما كان (المد) الإسلامي ، يجتاح الشرق ، باسم الإسلام ، ليحطم العروش ، ويقلب موازين القوى . . كان هناك (مد) آخر ، من نوع جديد ، يجتاح الغرب باسم المسيحية ، ولكن ليحكم بالاعدام ، على ٩١٤ إنسانا ، عافت نفوسهم ، المادية الغربية الغليظة القاسية ، فعادت إلى الله ، على يد قسيس وصف بالجنون ، هو جيمس جون ، قائد مذبحة جويانا الأمريكية الشهيرة ، وصاحبها ، وأحد ضحاياها .

* * *

ولقد بدأت الثورة الإيرانية المسلمة ، بنهاية عام ١٩٧٧ ، حيث فوجيء العالم ، « بالسيدة الإيرانية ، تهبط من جبال قم وشيراز وتبريز ، إلى شوارع طهران .. رافعة قبضتها في وجه العسكر ، ورافعات البترول ، واحتكارات الدول الكبرى »(١) .

وفي الوقت الذى راح الغرب الحاقد فيه ، (يلتمس) (للقسيس) ، قائد مذبحة جويانا ، (الأعذار) ، راح نفس الغرب ، (يتصيد) للخميني ، قائد الثورة الشعبية الإيرانية المسلمة . . الأخطاء .

لقد اتهموه بالشيوعية ، وبالعمالة ، ثم بالتهور ، والرجعية ، ثم بغير

---

(١) فتحي عبد العزيز : الخميني ، الحل الإسلامي والبديل — الطبعة الأولى — المختار الإسلامي — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، ص ٥ .

ذلك من الصفات ، التى تناقلت صحافتنا أسوأها على الإطلاق - تلك الصحافة ، التى قتلها تأميمها ، وتبعيتها للسلطة ، والتى يشرف عليها صحفيون (كبار) ، تعلموا منذ سنة ١٩٦١ ، أن هناك كلاما يكتب ، يدفع بصاحبه إلى المجد ، وإلى (التخمة) المالية ، وكلاما آخر ، يذهب بصاحبه إلى السجن ، أو إلى أعواد المشانق .

وهؤلاء الصحفيون (الكبار) ، يظلمون أنفسهم ، ويظلمون شعوبهم معهم ، ويظلمون (السلطة) أيضاً ، لأن (السلطة) قد لا تكون معهم ، فيما يذهبون إليه ، لترضيتها — بدليل أن من بينهم ، من يقول ما يريد ، دون أن (تحاسبه) السلطة على ما قال . . ولكنه (الخوف) ، الذى زرع فى قلوب هؤلاء الكبار ، على مدى ربع قرن من الزمان ، لا يريدون أن يتحرروا منه .

ولقد أثبتت الأيام — فيما بعد — أن كل ما قيل عن الرجل ، كان حقدا أسود ، يشرفه ، ويرفع من قدره ، بقدر ما يخزى ويحط من قدر من أرادوا النيل منه .

والقصة ليست قصة الثورة الإيرانية وخصومها ، ولكنها قصة الإسلام وخصومه ، ولو أن القائمين بهذه الثورة كانوا ماركسيين ، أو أمريكيى الهوية ، أو إيرانيين وطنيين (شعوبيين) ، ما قامت قائمة الحاقدين على هذا النحو ، ولكن القائمة قامت ، لأنهم إسلاميون . « لقد أدرك الاستعمار ، من خلال معاركه الصليبية ، مدى تغلغل عقيدة الإسلام ، فى نفوس أصحابها ، ومدى التفاف المسلمين ، فى شتى أقطار الأرض ، حول راية القرآن ، وحول النظام السياسى الإسلامى ، الذى تمثل فى الدولة العثمانية ، فى القرون الأخيرة »(١) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ ، ١٦ .

ومن ثم اتجهت الحملة إليه ، ظاهرة متخفية ، بعد أن فشلت المواجهة العسكرية ، و «كانت عملية طرح البدائل ، والتشكيك فى الأيديولوجية الإسلامية ، وقدرتها على الاستمرار وحفظ الأمة . هى محور الصراع ، الذى بدأ فى القرن التاسع عشر ، واستمر حتى الآن .. وكان هذا مقدمة ، لتغيير الأوضاع السياسية ، التى كانت تحتم ارتباط الجماهير المسلمة ، برمز وحدتها، المتمثلة فى الدولة العثمانية،ولم تمر هذه المحاولة بسهولة ،فلقد وقفت لها الجماهير ، تحت قيادة العلماء والمفكرين والثوار المسلمين ، وقفت لها بالمرصاد»(١) .

وكان التغير الجذرى ، الذى استطاع الاستعمار أن يفعله بالأمة ، هو إذكاء (الشعوبية) فى المنطقة ، لتقسيم العالم الإسلامى ، إلى عرب وفرس وأتراك وهنود وغيرهم ، ثم تعميق هذه النزعة الشعوبية ، بنزعة أوغل فى القدم ، كالفرعونية والآشورية والطورانية وغيرها .

ولم يكن غريبا، أن تتفجر (الثورة العربية) فى عهد الاستعمار ، وأن تنشأ (الجامعة العربية) سنة ١٩٤٥ ، فى وقت سيادة الاستعمار على المنطقة، ولقد كانت هذه الثورة العربية ، إسفينا فى جسد دولة الإسلام »(٢) .

ثم بدأ طرح الأفكار الليبرالية الغربية ، متمثلة فى الحرية الفردية ، وتعدد الأحزاب ، وحرية النشاط الاقتصادى ، ورفع شعار (الدين لله ، والوطن للجميع) ... إلخ ، ثم بدأ إيصال متبنى هذه الأفكار،إلى دفة الحكم..

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

فكان الفساد، الذى بدأنا كلامنا بالحديث عنه، «ولكن تيار العلمانية والتغريب، لم ييأس بهزيمة الليبرالية ، وحاول إنقاذ نفسه، وقطع طريق العودة على الحل الإسلامى ، الذى لاح فى الأفق ، فطغت ظاهرة الانقلابات العسكرية ، التى كان لأجهزة المخابرات الأمريكية ، دور الأسد فيها ، وبدأت ما سميت بالاشتراكيات الثورية ، تأخذ دورها ، كبديل جديد .

وإذا كانت الأنظمة الليبرالية ، قد مارست دورها ، عن طريق وضع العوائق ، أمام الحركة الإسلامية » ، « فقد مارست الأنظمة الاشتراكية العسكرية دورها ، عن طريق التصفية الجسدية ، للحركة الإسلامية ، فضلا عن القهر الفكرى ، والعزل السياسى »(١) .

وهاهى النظم الاشتراكية الثورية، تتساقط واحدا بعد الآخر ، وجاء الدور على الشيوعية ، ليتعرى أمرها ، بعد أن عريت الرأسمالية .

عريت الرأسمالية ، بعد أن كشفت عن هويتها ، كعدوة للشعوب ، مصاصة للدماء ، محاربة للإسلام ، عدوها الأول فى استغلالها .

ثم بدأت الشيوعية تتعرى ، بعد أن بدأت حقيقتها تتكشف ، أمام المخدوعين بها ، فما دخلت بلدا ، إلا وحملت معها الخراب إليه ، ولم ينج من هذا الخراب، عالم ولا عامل ... بل إن وطأتها على العامل ، كانت أشد ، فإن المتأمل لنظامها ، يرى أنها ترفع من شأن العلماء ، وتحط من قدر من العمال، على النقيض مما تدعى ، وهى ترفع من شأن العلماء ، لأنها تستعين بهم ، فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(كبت) العمال، « بل إن العامل فى أمريكا وبريطانيا، يتمتع بحريته الشخصية، أكثر مما يتمتع به ، سادة الكرملين »(١) .

ثم إنها لا تقل ضراوة فى حرب الإسلام ، عن الرأسمالية ، بل إنها تفوقها .

ومن ثم لم يكن غريبا ، أن تتمخض نظم الحكم الثورية (الشيوعية)، عن مد إسلامى ، لا نظير له ، فى قلوب الناس ، وقد أريد لهم — من خلال ممارسات الحكم اللاإنسانية ـ أن يتقلص هذا المد ، حتى يزول .

وكيف لا يتحقق هذا المد الإسلامى ، فى القلوب ، والناس كانوا يحلمون (بجنة) العلم والتكنولوجيا ، التى وعدوا بها ، والتى قيل لهم : إن الإسلام هو الذى يقف عقبة بينهم وبينها .. فإذا بهم لا يرون الجنة، ولا العلم والتكنولوجيا .. وإنما يرون مواردهم الطبيعية، تخرب على أيديهم، ويرون ـ مع هذا ـ الكبت السياسى ، والسرقة ، والنهب ... تصبح أسلوبا عاديا ، من أساليب حياتهم ، التى لم يألفوها .

لقد ترسبت فى أعماقهم ملامح ذلك المجتمع الإسلامى النظيف .. فإذا بالرأسمالية والشيوعية معا ، تأتى على كل جميل فيه ، لتضرم فيه النار ... بأيدى حكام، يسمون بالوطنيين ، بينما هم ليسوا حكاماً ، لأنهم لا يزيدون على أن يكونوا (دمى) ، فى أيدى من يحركونهم ، وليسوا وطنيين، لأنهم

---

(١) عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور عطار : الشيوعية والإسلام (مرجع سابق) ، ص ٤٦ .

باعوا أوطانهم ،بثمن بخس ، لأعدى أعداء هذه الأوطان .. كما نرى — بوضوح — فى عدن ، وفى ... أفغانستان .

* * *

وفى هذا الجو النفسى .. تفجرت الثورة الإيرانية ... ثورة شعبية ، بأصح معنى لهذه الكلمة .. وثورة إسلامية أيضا ، لأنه تكشف عن وجه إيران المسلم ، الذى عاف (المستورد) من النظم ، بعد أن أهدرت كرامته ، وأهدرت أمواله أيضا ، وأتت بكل قبيح ، لتشوه به وجهه المسلم .. النظيف .

وفجرت الثورة الشعبية .. المسلمة .. ينابيع الخوف، فى كل القلوب، سواء تلك التى نذرت نفسها لمحاربة الإسلام ، فى الغرب والشرق معا .. وتلك التى لم تذق حلاوة الإيمان ، فى داخل بلادها ، وإنما غرها بريق الحكم ، وأضواؤه .

فجرت الثورة هذا الخوف كله ، فى كل هذه القلوب ، لأن أصحاب تلك القلوب الراجفة ، أرادوا الإسلام ، كما هو اليوم ، «إسلام جامد، واقف، لاينقص ، ولايزيد ، ولايتحرك » ، « إسلام سلبى ، لا يتدخل فى شئون المجتمع والحياة ، بل يترك الحبل على غاربه ، ويدع حوله تحت رحمة الموجات المادية الطاغية ، والأفكار السامة ، والأدب المائع ، فيترك المجتمع فريسة سهلة ، ولقمة سائغة ، أمام ذئاب الإنسانية ، ووحوش الحضارة ، وقراصنة السياسة ، ولصوص الدين والأدب،ويظن أنه سينجو، بنفسه وبأبنائه » .

« إن هذا الإسلام يعايش جنباً إلى جنب ، مع كل كاتب، يبيع الهوى ، وينشر المنكر ، ويروج بضاعة الفحشاء » ، و « يمشى مع سائر التقلبات

والموضات الفكرية ، والمذاهب الاجتماعية والسياسية » . « إنه إسلام (المسالمين) ، لا المسلمين » . «إن هذا الإسلام، لا ينقص بالتهاون فى حقوق الله ، والاستهانة بشعائر الدين »(١) .

أما الإسلام، الذى تريده الشعوب الإسلامية، فهو « الإسلام القائد ، السائد ، المعلم ، الموجه »(٢) ، الذى يقتلع الفساد من جذوره ، ويزيل القذارة وأسبابها ، ويرسم للمجتمع المسلم، ملامح جديدة، رأيناها ـ نظريا ـ أو رأينا ملامحها العامة ـ فى هذا الكتاب ، ورأيناها واقعا حيا، فى عصور الإسلام الأولى ، قبل أن يبهت الإسلام فى قلوب أبنائه وضمائرهم ، فتبهت ـ لذلك ـ حياتهم ،وتغرى الأعداء المتربصين بهم . . بهم ، فتكون الحروب الصليبية ، التى فشلت عسكريا ، إلا أنها تكون ـ هذه المرة ـ بأساليب جديدة ، تناسب العصر .

* * *

والقائمون بالثورة الشعبية الإيرانية المسلمة . . بشر ، برغم ما تضفيه حركة الشيعة على أئمتها ، من صفات (العصمة) .

والبشر يصيبون ويخطئون .

ولكن يبدو أن أخطاء غير المسلمين تغتفر ، وتلتمس لها الأعذار ، أما أخطاء المسلمين ، فهى أخطاء ، لاعذر لها على الإطلاق ،فى نظر الصليبيين

---

(١) محمد الحسنى : الاسلام الممتحن (مرجع سابق) ، ص٢٦، ٢٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

الحاقدين، وفى نظر (المتأسلمين) ، الذين رضوا بأن يكونوا ذيولا ، لهؤلاء الصليبيين الحاقدين .

فعندما تطالب (إيران) ، من الولايات المتحدة ، تسليمها الشاه السابق، لمحاكمته على ما اقترف من جرائم ، فى حق شعبه ، الذى فرض نفسه عليه ، (بوراثة) ملكه عن آبائه .. ولإعادة البلايين التى سرقها ، من دماء هذا الشعب ، ترتفع شعارات الإنسانية ، والرحمة ، والتسامح ، وغيرها — وعندما تطالب (إسرائيل) من نفس الولايات المتحدة ، أحد أبناء فلسطين ، الذين نفذوا عملية فدائية ، لتحرير بلادهم ، التى شردوا منها ، باغتصابها منهم ، (تسارع) الولايات المتحدة بتسليمه ، ويكون للإنسانية والرحمة والتسامح هنا ... معنى جديد .

وعندما تطارد إيران الثورة ، هذا الشاه ، فإنها تكون مجرمة حاقدة ، أما عندما تطارد إسرائيل أبناء فلسطين ، فى كل بلاد أوربا ، فإنها تكون بطلة مغوارة .

وعندما تطارد إيران الثورة،من شاركوا فى فساد حكم الشاه،وتحاكمهم، وتعدمهم ، فإنهم تكون مجرمة .. أما عندما تطارد إسرائيل إيخمان ، فى قلب أمريكا اللاتينية ، لتحاكمه على (جرائم) ،كان يأتمر فيها بأمر حكومته ، منذ ربع قرن من الزمان ، فإنها تكون بطلة ،يشهد الجميع لمخابراتها بالكفاءة والمقدرة ، وللعدل والحق فيها .. بالازدهار .

والأمثلة كثيرة كثيرة ، وكلها تدل على (ازدواج) هذا الضمير الغربى عموماً ، والأمريكى على وجه الخصوص ، ومن ثم كان منطقياً ، أن تتأجج الثورة فى قلوب المسلمين فى كل مكان ، ضد الولايات المتحدة ، إثر تهديد الثورة الإيرانية ، بسبب احتجاز رهائن السفارة الأمريكية فى طهران ، وأن

تحترق سفارة الولايات المتحدة عن آخرها، فى باكستان ، وأن توشك على الاحتراق ، فى عواصم إسلامية أخرى ، وأن تقلل الولايات المتحدة من عدد بعثاتها الدبلوماسية ، فى البلاد الإسلامية ، وأن تنبه على هؤلاء بالتزام الحيطة والحذر ، وأن تطلب من الحكومات الإسلامية ، تشديد الحراسة على السفارات الأمريكية ، والبعثات الدبلوماسية الأمريكية .

ولم (يخفف) من هذه الكراهية الإسلامية للأمريكيين ، سوى الغزو السوفيتى لأفغانستان، ولكن هذه الكراهية لم تزل ..موجودة،وزوالها رهن بتغيير (موقف) الولايات المتحدة ، من الإسلام والمسلمين ، وهو أمر سهل بالنسبة لها ، إذا قورنت — فى ذلك — بالاتحاد السوفيتى ، الذى يكرهه المسلم من أعماقه، مهما قدم للعالم الإسلامى من خدمات، لأن تاريخ الاتحاد السوفيتى ، مع الإسلام والمسلمين، فى داخل حدوده ،وخارج هذه الحدود، أشد سواداً،من تاريخ الولايات المتحدة .

* * *

ونتيجة لهذا (الضمير المزدوج) ، وقفت الولايات المتحدة إلى جانب الشاه ، بوصفه (عميلا) لها ، كما وقف إلى جانبه ، الاتحاد السوفيتى ، رغم لا إنسانيته ، فى معاملة الشعب الإيرانى ، عندما ابتلى الله هذا الشعب به .

ونتيجة لهذا (الضمير المزدوج) أيضا ، وقفت الولايات المتحدة ، ضد الثورة الإيرانية ، وحاكت ضدها المؤامرات، التى لابد أن تكون وثائقها موجودة ، فى داخل تلك السفارة الأمريكية فى طهران ، ومن أجلها ، كان شلل اليد الأمريكية ، فى معالجة موضوع رهائن السفارة .

ولم يكن آية الخمينى ، هو الذى (ابتدع) محاكم الثورة ، فى تاريخ الإنسانية ، وإنما هى سنة الثورات ، فى كل زمان ومكان ، لأنها وسيلة الثورة ، (لتأمين ظهرها) ، ضد خصومها .

والثورة الفرنسية ، التى لا يفخر الأوربيون إلا بها ، حولت شوارع باريس ، إلى نهر جار من الدماء ، حتى كان كل فرنسى ، يقتل كل فرنسى ، لولا أن نابليون،وجه هذا (المرجل) الفرنسى ، الذى (انفجر) ، إلى خارج فرنسا .. بعد سنوات من قيام الثورة .

وهذا هو سر سلسلة الحروب ، التى خاضتها فرنسا الثورة ،ضد خارتى فرنسا : انجلترا وألمانيا .

وما يقال عن الثورة الفرنسية ـ فى الغرب الرأسمالى ـ يقال أكثر منه ، عن الثورة البلشفية فى الاتحاد السوفيتى ،سنة ١٩١٧ .

وهو يمكن أن يقال عن كل ثورة ، ولا يقتصر على الثورتين ، الفرنسية والبلشفية .

ولكن الأمر لابد أن يختلف هنا، إذا نحن تحدثنا عن الثورة الإيرانية، لأنها ثورة إسلامية ، ومن ثم فإنها يجب أن تجرم ، ويجب أن يجرم قادتها، لأن كل ما هو إسلامى ، يعتبر مباحاً ، على (مذبح) الضمير الغربى .

* * *

على أن ذلك لا يعنى ، أنى (مؤمن) بكل ما تقوم به الثورة الإيرانية .. المسلمة ، وموافق عليه .

فلكم كنت أتمنى ، أن تنسى هذه الثورة الماضى ، وقد ديس بالفعل تحت الأقدام.

وكم كنت أتمنى ، أن تقيم علاقاتها مع جاراتها ، على أساس ، غير الأساس ، الذى تقوم عليه الآن .

وكم كنت أتمنى ، أن تعلن الحرب على التخلف الموجود على أرضها ، قبل أن تعلنه على أعداء الإسلام فى الخارج ، خاصة وأن إعلان الحرب على التخلف ، إعلان للحرب على أعداء الإسلام ، الذى يعملون على إبقاء المسلمين متخلفين .

وكم كنت أتمنى ، أن تقوم (مصالحة) ما ، بين قادتها ـ الشيعة ـ وبين السنيين ـ أغلبية أبناء إيران .

وكم كنت أتمنى ألا يتم احتجاز،لرهائن السفارة الأمريكية فى طهران ، فما هكذا عومل مثل هؤلاء الممثلين لدول أجنبية ، فى بلاد الإسلام . . عبر التاريخ الإسلامى الطويل .

كم كنت أتمنى ذلك كله ، وأكثر منه ، ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه .·. تأتى الرياح بما لا . تشتهى السفن

إن أمنياتى ، ويدى فى الماء ، لابد أن تختلف عن تمنيات قادة الثورة، ويدهم فى (النار) .

فما أسهل ما يتمنى المرء ، ولكن الصعب — كل الصعب ـ هو أن ينفذ ما يتمنى .

ورغم ذلك كله ، فإننى — لكل مسلم — أحب هـــذه الثورة ، وأحب القائمين بها ، وأتمنى لها ولهم كل خير ، بوصفها أول (تجربة

إسلامية)(١) ، وكم كنت أتمنى — أيضا — أن يبادلها حكام المسلمين ، الخائفون منها ـ أو من أثرها على بلادهم — حبا بحب ، ومودة من مودة ، حتى يستطيعوا أن يعودوا بها إلى الطريق ، إن هى انحرفت عنه ، فى نظرهم ، أو فى نظر غيرهم .

* * *

وبعد عودة الإمام الخمينى الظافرة إلى إيران ، برغم كل المخاوف والمحاذير . . والإشفاق أيضا ، أعلنت باكستان ، تطبيق الشريعة الإسلامية ، رغم أن الجمهورية الإسلامية فى إيران ، لم تكن قد خرجت إلى حيز الوجود بعد .

ورفض رئيس باكستان ، ضياء الحق ، فى الوقت ذاته ، تخفيف حكم الإعدام ، عن ذو الفقار على بوتو ، رئيس الوزراء الأسبق ، استجابة لتداءات محبيه وسادته ، من ساسة الغرب ، وعملاء هؤلاء الساسة ، فى عالمنا الثالث المبتلى بالعملاء من أبنائه .

وقامت القيامة ، عندما تم إعدام عميل الغرب السابق .. ولكنها لم تقم ، عندما كان نفس العميل ، يفعل فى شعب باكستان المسلم ، ما كان يفعله عبد الناصر قبله ، فى شعب مصر المسلم .

---

(١) كانت (التجربة الاسلامية) ، هى العنوان ، الذى اختارته (عالم الفكر) ، التى تصدر عن وزارة الاعلام فى الكويت ، فى عددها الممتاز ـ الثانى ، من سنتها العاشرة (يوليو / سبتمبر ١٩٧٩) ، وان كانت موضوعاتها — على قيمتها وروعتها — قد دارت حول (تجارب) قديمة ، ولم يشر موضوع منها ، الى التجربة الأكثر روعة اليوم ، فى ايران وباكستان وأفغانستان ، والاتحاد السوفيتى ، وغيرها من تجارب اليوم .. الحية .

لقدكان بوتو ، يقتل من أبناء باكستان ، خصومه السياسيين ، بلا محاكمة ، تماماً كما كان عبد الناصر يفعل في مصر ، وكما فعل ، عندما وجه طائراته — في العدوان الثلاثي — إلى السجن ، تقتل فيه هؤلاء الخصوم بالقنابل ، بدلا من أن تتجه هذه الطائرات ، إلى طريقها الطبيعي .. إسرائيل .

إنه المد الإسلامي ، الذي حدا بضياء الحق ، إلى أن يستجيب لإرادة شعب باكستان المسلم ، قبل أن يثور عليه ، كما حدث في إيران .

وهو هو المد الإسلامي ، الذي ظهر في أفغانستان ، ضد الحكم الشيوعي .

وهو هو المد الإسلامي ، الذي جعل الاتحاد السوفيتي ، ثاني أعظم قوة في العالم ، يخلي المناطق الإسلامية المتاخمة لإيران ، من سكانها ، خشية أن ينتقل هذا المد إلى داخل حدوده ، خاصة وأن المسلمين ، هم القوة الباقية الوحيدة ، في وجه الشيوعية ، برغم أكثر من ستين عاماً من المحاولات . . ضد الإسلام — ولقد كان ذلك ، من أسباب غزو السوفيت ، لأفغانستان .

وهو هو المد الإسلامي ، الذي دفع بالمخابرات المركزية الأمريكية ، إلى أن (تدرس) الإسلام ، والحركات الإسلامية ، والقوة الموجبة فيه وفيها ، بعد أن ثبت أن الولايات المتحدة ، كانت تسيء الظن به وبها ، فلا تعمل له ولها ، ما يجب أن تعمله من حساب . لقد كانت تظن الإسلام ، قد صار جثة هامدة ، فإذا به حي ، حيوية تامة ، وإنما هو .. الهدوء ، الذي يسبق العاصفة .

ولست أدري : ما الذي يمكن أن تفعله الولايات المتحدة ، أكثر مما فعلته ؟

* * *

ولقد كان السياج ، الذى أحاط به الإسلام، ضمير الإنسان المسلم ، ومنه صمد الإسلام -والمسلمون- ضد كل عوامل القهر ، ثم ثاروا أخيرا - كان هو سياج (الأسرة) ، ومن ثم بدأنا بها الحديث فى هذا الكتاب ، بوصفها (اللبنة الأولى) ، فى بناء المجتمع الإسلامى وغير الإسلامى على السواء .

ولقد كانت هذه الأسرة ، هى التى حمت أبناءها ، ضد عوامل التحلل من الإسلام ، التى يفيض بها خارج البيت المسلم ، سواء فى الشارع ، وفى المدرسة ، وفى حركة الحياة الواسعة العريضة، فى داخل كل مجتمع إسلامى .

بل إنها هى التى حمتها، ضد عوامل التحلل، التى اقتحمت عليها خدورها، من خلال الإذاعة والتليفزيون والصحافة ، تنشر الفحش والبذاءة والقبح والسوء ، ولها تأثيرها الساحر ، على الكبار والصغار ، على السواء .

ولكن (العيب) و (الحرام) ، ظلت لغة الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم ، يزيد من فاعليتهما ، أن الأسرة ، تقوم بوظائفها فى حياة البنين والبنات ، برغم ظروف القهر ، وعوامل الحرمان ، التى فرضت على هذه الأسرة ، من خلال القوانين ، والتشريعات والنظم الجائرة ، التى تعطى من لا يستحق ، وتحرم من يستحق، ومن ثم كان للعيب والحرام معناهما، ووقعهما فى الصدور والقلوب .. والعقول .

ولم يغفل أعداء الإسلام تأثير الأسرة ، فعملوا على تحطيمها، من خلال ما رفعوه من شعار مساواة المرأة بالرجل ، والتوسع فى عمل المرأة ، برغم ضيق مجالات العمل بالرجال ، حتى صار النساء يعملن ، والرجال عاطلين .. ومن خلال أجهزة تخريب العقول ، المتسللة إلى الخدور ، متمثلة فى الإذاعة والتليفزيون .

وبرغم ذلك، ظل العيب والحرام .. هما اللغة السائدة .. الفعالة .

وبدلا من أن (يغسلوا مخ) الأسر ، التى تتمسك بالعيب والحرام ، صارت البرامج، ومايقدم فيها من مواد .. موضع سخرية هذه الأسر ، ودافعها الأكبر، نحو مايجب أن يسلكه أبناؤها ، ويسيروا نحوه .. من عفه وشرف ونظافة .

والدليل الأكبر على ذلك كله ، ذلك الحجاب، الذى انتشر على الرءوس والوجوه .. وذلك التحصن الذى بدأ يشيع وينتشر ، رغم ما يمكن أن يؤديه ذلك بصاحبه من رصد حركات .. وإمكانية تلفيق التهم ، للزج بهم ، فى أعماق السجون والمعتقلات .

* * *

إنه المد الإسلامى المكتسح ، بطهره ونظافته ـ ومن كان عاقلا، فليحن له رأسه ، ومن كان أعقل ، فليسر فيه ومعه ، قبل أن يجرفه تياره .

ولكنها سنة الحياة ، أن يكون فيها العالم والجاهل ، والعامل والخامل ، والمؤمن والكافر .. فتلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا :

ـ « لئن لم ينته المنافقون، والذين فى قلوبهم مرض، والمرجفون فى المدينة، لنغرينك بهم، ثم لايجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا ، أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا »(١) .

---

(١) قرآن كريم : الأحزاب ـ ٣٣ : ٦٠ ـ ٦٢ .

مراجع الكتاب

أولا : المراجع العربيـة :

١ – الدكتور ابراهيم وجيه محمود : التعلم – عالم الكتب – ١٩٧١ .

٢ – أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية – نقله إلى العربية : أحمد إدريس – الطبعة الأولى – المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع – ١٣٩٧ ﻫ – ١٩٧٧ م .

٣ – أبو الأعلى المودودى : تدوين الدستور الإسلامى – الطبعة الثانية – دار الفكر – دمشق (بدون تاريخ) .

٤ – أبو الأعلى المودودى : مبادىء الإسلام – دار الأنصار بالقاهرة – ١٩٧٧ .

٥ – أبو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربيـة – دار الفكر ، للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ) .

٦ – أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف ـ الطبعة الثالثة ـ المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع – ١٣٩٧ ﻫ – ١٩٧٧ م .

٧ – الدكتور أبو الفتوح رضوان : « أمجادنا التاريخية ، ومكانتها فى مناهجنا الدراسية » – **الرائـد** – عدد ممتاز ، عن مؤتمر المعلمين العرب – الاسكندرية – ١٩٥٦ .

٨ – الدكتور أحمد محمد الحوفى : من أخلاق النبى – الكتاب

الأربعون من (لجنة التعريف بالإسلام) — يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .

٩ — البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الإسلامى ، بين النظرية والتطبيق — مكتبة وهبة (بدون تاريخ) .

١٠ — ألدوميلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى — نقله إلى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى - قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى - جامعة الدول العربية — الإدارة الثقافية — الطبعة الأولى — دار القلم — ١٩٦٢ .

١١ — الرسالة القشيرية ، للإمام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى — تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمود بن الشريف — دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٩٧٢ .

١٢ — العلامة السيد حسين يوسف مكى العاملى : المتعة فى الإسلام ، دراسات حول مشروعية المتعة وبقائها - الطبعة الثالثة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م (بدون ناشر) .

١٣ — العهد الجديد .

١٤ — ألكسيس كاريل : الإنسان ، ذلك المجهول — تعريب : شفيق أسعد فريد — مكتبة المعارف — بيروت — ١٩٧٤ .

١٥ — الله فى العقيدة الإسلامية — من رسائل الإمام الشهيد حسن البنا — دار الشهاب — ١٩٧٧ .

١٦ — المعجم الوسيط — قام بإخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون —

وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — مطبعة مصر — ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

١٧ — المعجم الوسيط - قام بإخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون - وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون - الجزء الثانى - مجمع اللغة العربية - مطبعة مصر — ١٩٦١ .

١٨ — أنور الجندى : التفسير الإسلامى ، للفكر البشرى : الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة ، فى ضوء الإسلام — دار الاعتصام — ١٩٧٨ .

١٩ — أنور الجندى : المؤامرة على الإسلام — من سلسلة (معالم تاريخ الإسلام)— دار الاعتصام —١٩٧٧ .

٢٠ — إيدجارفور وآخرون : تعلم لتكون — ترجمة د حنفى بن عيسى - الطبعة الثانية - اليونسكو - الشركة الوطنية ، للنشر والتوزيع - الجزائر — ١٩٧٦ .

٢١ — الدكتور بول منرو : المرجع ، فى تاريخ التربية - الجزء الأول - ترجمه صالح عبد العزيز — راجعه حامد عبد القادر — الطبعة الثانية — مكتبة النهضةالمصرية — ١٩٥٨ .

٢٢ — بيترم . بلاو : البيروقراطية فى المجتمع الحديث — ترجمة اسماعيل الناظر ، ومعد كيالى — دار الثقافة — بيروت — ١٩٦١ .

٢٣ — تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الثانى — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

٢٤ — تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء، إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الثالث — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

٢٥ — الدكتور جمال الدين عطية : «كلمة التحرير» — **المسلم المعاصر** — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الإسلامية — العدد العاشر — أبريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ .

٢٦ — الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : دعاة ، لا قضاة (أبحاث فى العقيدة الإسلامية ، ومنهج الدعوة إلى الله) - رقم (١) من (كتاب الدعوة) - دار الطباعة والنشر الإسلامية — ١٩٧٧ .

٢٧ — الدكتور حسين فوزى النجار : الإسلام والسياسة ، بحث فى أصول النظرية السياسية ونظام الحكم فى الإسلام - مطبوعات الشعب - ١٩٧٧ .

٢٨ — خالد محمد خالد : من هنا . . نبدأ — الطبعة الثانية — دار النيل للطباعة — ١٩٥٠ .

٢٩ — ديل كارنيجى : دع القلق ، وابدأ الحياة — تعريب عبد المنعم محمد الزيادى — الطبعة الخامسة - مؤسسة الخانجى بمصر (بدون تاريخ) .

٣٠ — ديل كارنيجى : كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر فى الناس ؟ - تعريب عبد المنعم محمد الزيادى — الطبعة الثانية — مؤسسة الخانجى بمصر (بدون تاريخ) .

٣١ — رالف لنتون : دراسة الإنسان — ترجمة عبد الملك الناشف — منشورات المكتبة العصرية — صيدا — بيروت — ١٩٦٤ .

٣٢ — الدكتور رشدى عليان : الإسلام والخلافة ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دار السلام — بغداد — ١٩٧٧.

٣٣ — دكتور زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر — الطبعة الأولى — دار الشروق — يناير ١٩٧٦ .

٣٤ — زينب الغزالى : أيام من حياتى — دار الشروق — ١٩٧٨.

٣٥ — دكتور سعد مرسى أحمد ، ودكتور سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم — عالم الكتب — ١٩٧٢ .

٣٦ — دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الإسلامية ، وأثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية ـ ١٩٦٣.

٣٧ — الدكتور سيد أحمد عثمان : «المسئولية الاجتماعية فى الإسلام ـ دراسة نفسية » — **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس** — بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس — عالم الكتب — ١٩٧٣ .

٣٨ — سيد قطب : السلام العالمى والإسلام — الطبعة السادسة — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

٣٩ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الأول (الأجزاء : ١ ـ ٤) ـ الطبعة الشرعية الرابعة ـ دار الشروق ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م .

٣٠ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ ـ ١١) ـ الطبعة الشرعية الرابعة ـ دار الشروق ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٤١ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الرابع (الأجزاء : ١٢ ـ ١٨) ـ الطبعة الشرعية الرابعة ـ دار الشروق ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٤٢ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (الأجزاء : ١٩ - ٢٥) - الطبعة الشرعية الرابعة - دار الشروق - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٤٣ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (الأجزاء : ٢٦ - ٣٠) - الطبعة الشرعية الرابعة - دار الشروق - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٤٤ — سيد قطب : معالم فى الطريق - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م (بدون ناشر) .

٤٥ — سيد قطب : نحو مجتمع إسلامى - الطبعة الثانية - دار الشروق - ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

٤٦ — العلامة شمس الدين بن القيم : الجهاد فى سبيل الله (منقولة من كتاب « زاد المعاد » - « باب الجهاد ») - دار الفتح ، للطبع والنشر والتوزيع (بدون تاريخ) .

٤٧ — صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد : التربية وطرق التدريس - الجزء الأول - الطبعة الخامسة - دار المعارف بمصر - ١٩٥٦ .

٤٨ — صحيح البخارى — لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى - الجزء الأول - دار ومطابع الشعب (بدون تاريخ) .

٤٩ — طه حسين : الشيخان ، الصديق أبو بكر ، والفاروق عمر — جمهورية مصر العربية — وزارة التربية والتعليم — طبعة مدرسية موجزة — ١٩٧٥ .

٥٠ — طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر - مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨ .

٥١ — عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية — الطبعة الأولى (المؤتمر الإسلامى) — دار القلم (بدون تاريخ) .

٥٢ — عباس محمود العقاد : الديمقراطية فى الإسلام — دار المعارف — ١٩٧١ .

٥٣ — عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — دار الإسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ .

٥٤ — عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن — دار الإسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ .

٥٥ — عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام ، وأباطيل خصومه — دار الإسلام — القاهرة — ١٩٥٧ .

٥٦ — عباس محمود العقاد : عبقرية عمر ـ الجمهورية العربية المتحدة وزارة التربية والتعليم — ١٩٦٨ .

٥٧ — عباس محمود العقاد : عبقرية محمد — دار الكتب الحديثة القاهرة — ١٩٦٦ .

٥٨ — عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور عطار : الشيوعية والإسلام ـ الطبعة الثانية ـ مطابع الأندلس ، للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

٥٩ — عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة (بحث فى رسالة الله الواحدة ، الخالدة على مدى الزمان ، واقتباس من هداها ، فى الاجتماع والسياسة والحرب والسلم والعلاقات الدولية ، لإزالة أسباب الاضطراب

العالمى ، وإمداد الحضارة بسند روحى ، وإقامة نظام عالمى جديد) - الطبعة الأولى — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

٦٠ — الدكتور عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام — مؤسسة الرسالة ومكتبة الأقصى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

٦١ — دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٦ .

٦٢ — دكتور عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة — الكتاب الثامن من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى — يونية ١٩٧٩ .

٦٣ — دكتور عبد الغنى عبود : الإسلام والكون — الكتاب الثالث من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — مايو ١٩٧٧ .

٦٤ — دكتور عبد الغنى عبود : الإنسان فى الإسلام ، والإنسان المعاصر — الكتاب الرابع من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٨ .

٦٥ — دكتور عبد الغنى عبود : الأيدلوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٦٦ — دكتور عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر - الكتاب الثانى من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٧ .

٦٧ — دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة —

الكتاب الخامس من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى — يونية ١٩٧٨.

٦٨ — دكتور عبد الغنى عبود : أنبياء الله والحياة المعاصرة ـ الكتاب السادس من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر)ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى — سبتمبر ١٩٧٨ .

٦٩ — دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية ـ الطبعة الأولى ـــ دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٧٠ — دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى — الكتاب السابع من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يناير ١٩٧٩ .

٧١ — دكتور عبد الفتاح عبد الباقى : القانون والحياة ـ رقم (٢٨) من (المكتبة الثقافية) — وزارة الثقافة والإرشاد القومى — الإدارة العامة للثقافة — دار القلم بالقاهرة — أول يناير ١٩٦١ .

٧٢ — الشهيد عبد القادر عودة : الإسلام ، بين جهل أبنائه ، وعجز علمائه — المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م.

٧٣ — الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية — من منشورات كلية التربية بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ .

٧٤ — عبد المتعال الصعيدى : لماذا أنا مسلم؟ ـ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز — ١٩٧٦ .

٧٥ — د . عماد الدين خليل : « القرآن الكريم ، والمسألة الاجتماعية

(خطوط عريضة) » — **المسلم المعاصر** — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الإسلامية — العدد العاشر - أبريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ .

٧٦ — فتحى عبد العزيز : الخمينى ، الحل الإسلامى والبديل — الطبعة الأولى — المختار الإسلامى — ١٣٩٩ ﻫ — ١٩٧٩ م .

٧٧ — فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان — مكتبة نهضة مصر (بدون تاريخ) .

٧٨ — دكتور فؤاد أبو حطب : القدرات العقلية — الطبعة الثانية — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧٨ .

٧٩ — دكتور فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو ، من الطفولة إلى الشيخوخة — الطبعة الرابعة — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ .

٨٠ — فيليب ﻫ . فينكس : التربية والصالح العام — ترجمة السيد محمد العزاوى ، والدكتور يوسف خليل - مراجعة محمد سليمان شعلان - تقديم السيد يوسف - الجمهورية العربية المتحدة - وزارة التربية والتعليم - ١٩٦٥ .

٨١ — فيليب ﻫ . فينكس : فلسفة التربية — ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحى — دار النهضة العربية — ١٩٦٥ .

٨٢ — قرآن كريم .

٨٣ — كلنتون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين — ترجمة عثمان نويه — تقديم صلاح دسوقى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٢ .

٨٤ — مجموعة رسائل العلامة المجاهد، الشيخ محمد الحامد — الطبعة الأولى — مكتبة الدعوة بحماة — سورية - شوال ١٣٧٥ هـ .

٨٥ — الإمام محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ .

٨٦ — الإمام محمد أبو زهرة : فى المجتمع الإسلامى — دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

٨٧ — الأستاذ الشيخ محمدأبو زهرة : محاضرات فى النصرانية (تبحث الأدوار التى مرت بها عقائد النصارى ، وفى كتبهم،وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم) — الطبعة الرابعة — دارالفكر العربى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

٨٨ — محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق — من سلسلة (صوت الحق) — تصدرها الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة — دار الجهاد ودار الاعتصام (بدون تاريخ) .

٨٩ — الدكتور محمد البهى: الإسلام فى حياة المسلم - الطبعة الخامسة - مكتبة وهبة — رجب ١٣٩٧ هـ — يونية ١٩٧٧ م .

٩٠ — محمد الحسنى : الإسلام الممتحن — تقديم المفكر الإسلامى الكبير ، أبو الحسن الندوى - الطبعة الأولى - المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٩١ — محمد جلال كشك : الغزو الفكرى — من سلسلة (مفاهيم إسلامية) — الطبعة الثانية — الدار القومية، للطباعة والنشر بالقاهرة — مارس ١٩٦٦ .

٩٢ — محمد شديد : منهج القرآن فى التربية - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز (بدون تاريخ) .

٩٣ — محمد عبد الله السمان : التربية فى القرآن - رقم (١) من سلسلة (رسائل الفكرة الإسلامية) — الطبعة الخامسة — دار الاعتصام — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٩٤ — دكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن — تعريب وتحقيق وتعليق : دكتور عبد الصبور شاهين - مراجعة دكتور السيد محمد بدوى - مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية — ١٩٧٤.

٩٥ — الدكتور محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الإسلامية - من (مكتبة الدراسات الفلسفية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٩ .

٩٦ — الدكتور محمد عزيز الحبابى : من الحريات إلى التحرر — من (مكتبة الدراسات الفلسفية) — دار المعارف بمصر — ١٩٧٢.

٩٧ — محمد علم الدين : التربية الجنسية ، بين الواقع وعلم النفس والدين — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٠.

٩٨ — محمد فاضل الجمالى : دعوة إلى الإسلام (رسائل من والد فى السجن إلى ولده) — الطبعة الأولى — منشورات دار الكتاب اللبنانى ، للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٦٣ .

٩٩ — محمد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة ، من عهد النهضة الأوروبية ، إلى نهاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون - المطبعة الأميرية ببولاق — القاهرة — ١٩٣٤.

١٠٠ — محمد قطب : شبهات حول الإسلام — الطبعة العاشرة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٠١ — محمد قطب : قبسات من الرسول — الطبعة الثانية — دار الشروق (بدون تاريخ) .

١٠٢ — محمد محمد عبد اللطيف ، ابن الخطيب ، صاحب الفرقان : أوضح التفاسير - الطبعة الخامسة - المكتبة التجارية الكبرى - شعبان ١٣٧٥ - مارس ١٩٥٦.

١٠٣ — محمد مظهر الدين صديقى : ما هو الإسلام — رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى إسلامى) - المختار الإسلامى - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١٠٤ — الدكتور مصطفى الرافعى : الإسلام ومشكلات العصر — الطبعة الأولى — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٢.

١٠٥ — الدكتور مصطفى السباعى : اشتراكية الإسلام - دار ومطابع الشعب — ١٩٦٢ .

١٠٦ — د . مصطفى كمال وصفى : « الفكرة الأخلاقية ، بين القانون والشريعه الإسلامية » — المسلم المعاصر — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الإسلامية — العدد العاشر - أبريل - مايو — يونيو ١٩٧٧ .

١٠٧ — معارج القدس ، فى مدارج معرفة النفس — تأليف حجة الإسلام ، أبى حامد محمد بن محمد الغزالى — الطبعة الثانية — منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت — ١٩٧٥.

١٠٨ — ميرزا محمد حسين : الإسلام وتوازن المجتمع - ترجمة فتحى عثمان — رقم (٣٥) من (سلسلة الثقافة الإسلامية) — دار الثقافة العربية للطباعة — ذو القعدة ١٣٨١ هـ — مايو ١٩٦٢ م .

١٠٩ — وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ، مدخل علمى إلى الإيمان - ترجمة ظفر الإسلام خان - مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين — الطبعة الخامسة — المختار الإسلامى — ١٩٧٤ .

١١٠ — وحيد الدين خان : المسلمون ، بين الماضى والحاضر والمستقبل - ترجمة ظفر الإسلام خان - مراجعة د . عبد الحليم عويس - الطبعة العربية الأولى - المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٧٨ .

١١١ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة — دراسات فى التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ .

١١٢ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة — دراسات فى التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ .

١١٣ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : دراسات فى التربية المقارنة - الطبعة الأولى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٥٨ .

١١٤ — الدكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام — الطبعة الأولى — مكتبة وهبة - رمضان ١٣٩٧ هـ — أغسطس ١٩٧٧ م .

1 – ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Ouran, Text, Translation and Commentary, Volume One; Hafner Publishing Company, New-York, U. S. A., 1946.

2 – BUTTS,R. FREEMAN : A Cultural History of Western Education, Its Social and Intellectual Foundations; Second Edition, Mc Graw - Hill Company, New-York, 1955.

3 – COOPER, DAN H. : The Administration of Schools for Better Living, Proceedings of the Co-operative Conference for Administrative Officers of Public and Private Schools; Northwestern University, University of Chicago, 1948, Vol. Xl, The University of Chicago Press, Chicago, Illinois

4 – CURTIS, JACK H. : Social Psychology; Mc Graw-Hill Book Company, Inc., New-York, 1960.

5 – DEWEY, JOHN : Democracy and Education, An Lntroduction to the Philosophy of Education; The Macmillan Company, New-York, 1916.

6 – GOODELL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Institution; The Macmillan Company, New-York, 1923.

7 – KROEBER, A. L. : Anthropology (Race, Language, Culture, Psychology, Prehistory) ; Revised Edition, Harcourt, Brace and Company, Inc., 1948.

8 – GUEST, GOERGE : The March of Civilization; G. Bell and Sons, Ltd., 1951.

9 – MODAWI, ALI KHALID : A Theoretical Basis for Islamic Education; Thesis Submitted to the University of Wales, in Candidature for the Degree of Philosophiae Doctor, April 1977.

10 – RADWAN, ABU AL-FUTOUH AHMAD : Old and New Forces in Egyptian Education, Proposals for the Re-construction of the Program of Egyptian Education, in the Light of Recent Cultural Trends, Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University, New-York, 1951.

11 – THE CONCISE OXFORD DICTIONARY, of Current English, Fdited by : H. W. FOWLER and F. G. FOWLER, basedon : the Oxford Dictionary; Fourth Edition, Revised by : Mc INTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1951.

12 – THUT, I. N. : The Story of Education, Philosophical and Historical Foundation; Mc Graw-Hill Company, Inc., New-York, 1957.

للمؤلف

أولا : من كتب التربيـــة :

١ ــ في **التربيـــة المقـــارنة** ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٤ (مع الدكتـــــورة نازلي صالح) .

٢ ــ **الأيديولوجيا والتربيـــة ، مدخل لدراسة التربية المقـــارنة** ــ دار الفكر العربى ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

٣ ــ **نحو فلسفة عربية للتربيـــة** ــ دار الفكر العربى (مع الدكتور عبد الغنى النورى) ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٤ ــ **فى التربية الاسلامية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ .

٥ ــ **في التربية المعاصرة** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ (مع الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع) .

٦ ــ **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٨ .

٧ ــ **ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة** ــ دارالفكرالعربى ــ ١٩٧٨ .

٨ ــ **البحث فى التربية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٩ .

٩ ــ **التربية ومشكلات المجتمع** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٠ .

ثانيا : من كتب سلسلة (الإسلام وتحديات العصر)

(وتصدرها كلهـا : دار الفكر العربى)

١ ـ **العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعـاصرة** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٢ ـ **الله ، والانسان المعـاصر** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعـة الثانية ١٩٨٠ .

٣ ـ **الاسلام والكون** ـ مايو ١٩٧٧ .

٤ ـ **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعـاصر** ـ يناير ١٩٧٨ .

٥ ـ **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٨ .

٦ ـ **أنبياء الله ، والحياة المعـاصرة** ـ سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ ـ **قضية الحرية ، وقضايا اخرى** ـ يناير ١٩٧٩ .

٨ ـ **الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٩ .

٩ ـ **الملامح العامة ، للمجتمع الاسلامى** ـ فبراير ١٩٨٠ .

الكتاب التالى من السلسلة :

ديناميات المجتمـع الاسـلامى

يصدر فى منتصف هذا العام باذن الله .

ورد ص ٢ ما يلى :

الطبعـة الأولى

فبراير ١٩٧٩

والصحيح :

الطبعـة الأولى

فبراير ١٩٨٠

رقم الايداع ٣١١٦ / ١٩٨٠

مطبعة الاستقلال الكبرى

٨ شارع نجيب الريحانى ـ تليفون ٧٤٤٠٧٦